الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي آكلي محند أولحاج
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الطابع الفكاهي في القصيدة العباسية
نماذج ل: بشار بن برد, أبو نواس, ابن الرومي

إعداد:
- **ناهي فتيحة**
- **سعدي**
- **جبري لويزة**

إشراف:
- **الأستاذ جموعي**

السنة الجامعية: 2010 / 2011 م

كلمة شـــكر

****

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ » صدق الله العظيم.
الآية 60 سورة إبراهيم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ لَمْ يَشْكُر النَّاسَ لَمْ يَشْكَر الله » رواه أحمد والترمذي.

نحمد الله حمدا كثيرا ونشكره شكرا جزيلا، الذي كان فضله وعطاؤه كريما نحمده لأنه سهّل لنا مبتغانا وأعاننا على إتمام هذا العمل وسهّل لنا الصعاب وهوّن علينا المتاعب، وبعد: نتقدم بالشكر الجزيل إلى:

- الأستاذة المشرفة " بن عياد خليدة " والتي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها خلال فترة إشرافها علينا.
- الأستاذ المشرف " جموعي سعدي " على كل ما بذله من جهد في سبيل إرشادنا وتوجيهنا لإتمام هذا العمل.
- الأستاذ " عواج لعرييي " الذي قدم لنا يد المساعدة نسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء.
- إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد بالقليل أو الكثير في إنجاز هذا العمل.

لكل هؤلاء نتقدم بخالص شكرنا وتقديرنا.

المقدمة

لا يخلو الأدب في أيّ عصر من العصور من الفكاهة، ولعل هذا اللون الباسم منه الذي يتضمن أخبار السلف الضاحكة وطرائفهم الممتعة وملحهم العذبة ونوادرهم الشائقة هو من أفضل ألوان الأدب.

ففي حياة الأفراد والجماعات مراحل تتّسم في أكثر الأوقات بالجدّ والعمل الدؤوب إلى حدّ التعب والإرهاق، ممّا يستوجب اللجوء إلى الراحة النفسية والفكرية والجسدية استعدادا لاستئناف العمل بنفس الطاقة والقوّة، ولعل أفضل وسيلة تساعد على تجديد هذا النشاط هي الضحك والفكاهة والترويح عن النفس، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« رَوِّحُوا القُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةً، فَإِنَّ القُلُوبَ إِذَا كَلَّتْ عَمِيَتْ » ، وذلك بغضّ النظر عن اختلاف الميول عند الناس بين محب للغناء والموسيقى ومحب للرياضة الطبيعية وقارىء للقصة أو القصيدة الشعرية أو ممارس لمختلف أنواع الترفيه والتسلية الأخرى.

والفكاهة في أدبنا العربي هي في حد ذاتها ضرب من ضروب التسلية والترفيه عن النفس فباستثناء أدب الفكاهة في العصر الجاهلي الذي لم يصلنا وذلك لندرته بسبب ظروف حياة البادية القاسية والبعيدة عن الترف والنعيم، فإنّها بدأت تظهر في صدر الإسلام بعض النوادر وخاصة مع بداية حياة الإستقرار التي عرفها العرب في المدن، أما في العصر الأموي فقد نمت الفكاهة في حضن النقائض التي كانت تعتمد على الهجاء المتبادل عند كل من جرير والفرزدق وغيرهم

فتناثرت بذلك النوادر في الأشعار، ثم جاء العصر العباسي المنفتح على الحضارات فنبغ أشخاص في فن الفكاهة والإضحاك كأبي دلامة، ودعبل الخزاعي، وبشار، وأبي نواس، وابن الرومي... وغيرهم، وانتشر الندماء والظرفاء الذين اختصوا بمهمة إضحاك أولي الأمر بالفكاهات ومختلف النوادر، فنالوا بذلك حضوة لدى الخلفاء والأمراء.

وقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع كونه موضوعًا مسلّيا، شيّقا، وممتعا، فيه نوع من الخفة فلا يفضي بنا إلى التعب والملل، إضافة إلى ماله من مزايا في حياة الأفراد والجماعات وكذا لاعتبار الفكاهة ظاهرة حضارية بارزة في الشعر العباسي اقتصر أمرها على العرب ولم يعرفها الغربيون قبل هذا الزمن.

أما الأسئلة والإشكالات التي يطرحها بحثنا ويحاول الإجابة عنها، فأهمها:

ماهي الفكاهة ؟ وما خصائصها ؟ ومن هم أهمّ وأشهر روادها ؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة وأخرى تتبعنا الخطة التالية:

قسمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين وخاتمة، تحدثنا في المدخل عن مواكبة الشعر للحياة العباسية الجديدة ومظاهر التجديد فيه.

وتعرضنا في الفصل الأول إلى مفهوم الفكاهة وعلاقتها بالتجديد في فنّ الهجاء في العصر العباسي، كما تعرّضنا إلى أهم خصائصها وأنواعها وروادها.

أمّا في الفصل الثاني فقد أوردنا نماذج لأهم رواد هذا اللّون من الشعر في العصر العباسي وهم: بشار بن برد الشاعر المتهكم الساخر، أبو نواس الشاعر الفكه الظريف، وابن الرومي الشاعر المتشائم المصور لمختلف عيوب الأفراد والمجتمع.

أما خاتمة بحثنا فقد كانت عبارة عن حوصلة لكل ماسبق ذكره، واستنتاجات وخلاصات توصل إليها البحث.

وقد سِرنا في بحثنا هذا على هدي المنهج الوصفي التحليلي لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك، واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصرالعباسي الأوّل لمصطفى بيطام، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول والعصر العباسي الثاني لشوقي ضيف، وتاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، إضافة إلى دواوين كل من بشار، وابن الرومي، وغيرها من المراجع.

أمّا الصعوبات التي واجهتنا فتتعلق بتشابه المادة في أغلب المراجع، إضافة إلى صعوبة تحليل بعض النماذج من النصوص الشعرية والتي جاءت في مواقف طريفة مضحكة إلاّ أنّها قد تضمنت بعض المصطلحات والمعاني التي شق علينا فهمها وتفسيرها.

قامت الدولة العباسية كما هو معروف على أنقاض الدولة الأموية في الشام سنة 132هـ الموافق لـ: 750م، بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في معركة «الزاب» شمال العراق، ويعتبر هذا التاريخ بداية تأسيس الدولة العباسية، التي استمرت بالحكم حتى سنة 606هـ - 1258م. حيث صارت «بغداد» في هذه الفترة حاضرة الثقافة والعلم والأدب والفن وخاصة الشعر، وازدهرت وبلغت أوج عظمتها وعصرها الذهبي[1]

فكان لتطور الحياة في هذا العصر بمختلف أوجهها - سواء الحياة السياسية وما كان يجري فيها من نظم، وظروف، وأحداث مختلفة، أو الحياة الاجتماعية وما كان يشيع فيها من تحضر، وترف وشغف بالغناء وإغراق في المجون، وزندقة وزهد ونسك، أو الحياة العقلية وما التحم بها من ترجمة الثقافات الأجنبية، ونشاط الحركة العلمية، ونقل علوم الشعوب المستعربة ووضع العلوم اللغوية والتاريخ والعلوم الدينية والكلامية ـ[2]

كل هذا كان له أثر كبير على الأدباء العباسيين وخاصة الشعراء الذين راحوا يصورون مختلف مظاهر هذه الحياة وملامحها التي استلهمتهم ودفعتهم إلى النظم والإبداع في مختلف الأغراض والموضوعات التقليدية الموروثة كالمدح والهجاء والغزل والوصف والرثاء والزهد والمجون والزندقة... والتي عرفت تطورا وتجديدا نلمس فيه روح العصر وخصب الفكر ورهافة الشعور فقد أصبحت تعرض بصورة أدق وأعمق، وأخذت تدخل عليها إضافات كثيرة.

فنجد مقاييس المدح التقليدية المتمثلة في الفضائل الأربع : العقل والشجاعة والعدل والعفة قد تغيرت في العصر العباسي بسبب التطور والتحول الذي طرأ على مختلف أوجه الحياة العملية والفنية، مما جعل الشعراء يبحثون عن مقاييس جديدة تلائم عصرهم وترضي أذواق ممدوحيهم ولاسيما الخلفاء والأمراء منهم، حيث توصلوا إلى استحداث معايير جديدة لهذا الغرض تتمثل أساسا في تخصيص الممدوح بمدائح تكون معانيها اسلامية تدور حول أمور الدنيا والدين، ووصف معارك المسلمين وانتصاراتهم على أعدائهم كالذي تعكسه مدائح أبي العتاهيةوأبي تمام، وأشجع السلمي، والمتنبي وأبي نواس وغيرهم.[3]

حيث يقول أبو العتاهية مهنئا الخليفة هارون الرشيد بالإنتصار العظيم الذي حققه يوم اقتحامه لمدينة هرقلة :

ألا نادت هرقلة بالخـراب من الملك الموفق بالصواب
غدا هارون يرعد بالمنايـا و يبرق بالمذكرة القضـاب
ورايات يحل النصر فيهـا تمركأنهاقطع السحـاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم وأبشر بالغنيمة والأيـاب[1]

كما نجد بشار بن برد الذي استطاع في مديحه أن يضيف إلى العناصر البدوية القديمة عناصر مستحدثة، فقد أخذ يتخفف من مشاهد الصحراء ومنالمقدمات الطللية مكتفيابالغزل والوصف، فكأنه يريد أن يضيف إلى المقدمات الطللية مقدمة جديدة من بيئته مثل قوله في خالد بن برمك:

إذا جئته للحمد أشرق وجهـه إليك وأعطاك الكرامة بالحمـد
مفيد ومتلاف سبيل تراثـه إذا ما غدا أوراح كالجزروالمد[2]

---

[1] عبد عون الروضان، شعراء العصر العباسي، الطبعة 3 ، دار أسامة، عمان، الأردن، ص03.
[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، الطبعة12، دار المعارف،ص05 .
[3] مصطفى بيطام ، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول(132-232هـ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص489.
[1] مصطفى بيطام, المرجع السابق, ص257.
[2] شوقي ضيف, المرجع السابق, ص 212.

أما بالنسبة لغرض الهجاء فنتيجة للتطور الذي غيّر وجه الحياة السياسية والإجتماعية والفكرية على وجه الخصوص وشيوع اللهو والمجون وحرية المعتقد، فقد فتح الناس أعينهم على عصر جديد عرف بالتحضّر في مختلف المظاهر وفي شتى المجالات، مما جعل العقل الذي لقح بمعطيات الفلسفة والفقه والمنطق وغيرها من العلوم، ينضج ويبلغ أسمى درجة في الرقي وبذلك أصبح الناس في هذا العصر يتنازعون ويتصارعون فكريا، هذا الصراع الذي كان الباعث الأول والدافع القوي لما نقف عنده في قصائد بعض الشعراء العباسيين الذين حاولوا الخروج عن النهج التقليدي، وتتمثل ظواهر التجديد التي طرأت على موضوع الهجاء في هذا العصرفي اتجاهه نحو التصوير الكاريكاتوري الذي برع فيه ابن الرومي، القائم على الهجاء الشخصي المعتمد على المسخ والشتم والسخرية واضحاك الآخرين من المهجو، وفي هذا يقول محمد مصطفى هدارة:« والتطور الفني الحقيقي للهجاء لا يتضح في القصائد الزاخرة بالسباب والإتهامات والفحش، ولكننا نعتبر أن التطور الفني الذي حدث أساسه الهجاء الساخر الذي يستهدف اضحاك الناس على المهجو وسخريتهم منه، ولهذا يعتمد على فن أصيل في رسم شخصية المهجو من ناحية معنوية أو جسمية، ولكنه ليس رسما تصويريا بل هو رسمكاريكاتوري يبعث على الضحك،ويستعين الشاعر في هذا النوع الأصيل من الهجاء بكل معارف عصره وبجميع عناصر الفكاهة لهزل الشائعة بين الناس.» [3]

ومن الهجاء الساخر الذي يعتمد فيه أصحابه على رسم المفارقات الجسدية والشكلية للمهجو قول منصور الأصفهاني في هجاء من اسمه المغيرة :

وجه المغيرة كله أنــف موف عليه كأنه سقــف
رجل كوجه البغل طلعتــه ما ينقضي من قبحه الوصف
من حيث ما تأتيه تبصــره من أجل ذاك أمامــه خلف
حصن له من كل نائبــة وعلى بنيــه بعده وقف[1]

كما يعد الهجاء الإجتماعي المنصب على نقد الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والدينية المتردية، وانتقاد الخلفاء والحكاممن ألوان التجديد كذلك التي طرأت على فن الهجاء في العصر العباسي، ومن أهم رواده : بشار بن برد، حماد عجرد، ابن الرومي ...و غيرهم.

يقول ابن الرومي في هجائه للبخل و البخلاء :

يقتر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالـد
فلو يستطيع لتقتــيره تنفسمن منخرواحـد

كما خضع غرض الغزل إلى عملية التطوير والتجديد، ففيما يخصّ الغزل الحسي فقد اتجه نحو اللذة العابرة وهتك الأعراض والإساءة إلى قيم المجتمع وأخلاقه ومقدساته كالذي يتضح من شعر أبي نواس ومطيع بن إياس وبشار بن برد وغيرهم، كما تعد ظاهرة عدم الإقتصار على عشيقة واحدة في هذا التيار من الظواهر التجديدية التي عرف بها هذا الفن، وفي هذا نجد قول بشار في إحدى عشيقاته :

أمامة قد وصفت لنا بحسن وإنا لا نراك فألمسينـــا.[2]

أما الغزل العفيف فقد حافظ على سماته وخصائصه التقليدية، وتتجلى مظاهروملامح التجديد فيه على التزام العفة وطهارة الضمير، ويعد العباس بن الأحنف زعيم هذا الفن حيث يقول :

قالت ظلوم سمية الظلـم مالي رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبي فأقصده أنت العليم بموضع السهم[3]

---

[3]نور الدين السد، الشعرية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر، 1995، ص452.
[1] نور الدين السد, المرجع السابق، ص 453.
[2]محمد عبد العزيز الكفراوي، تاريخ الشعر العربي، الجزء 3، نهضة مصر، ص 57.
[3]مصطفى بيطام، المرجع السابق، ص330.

وفيما يخص غرض الوصف الذي يعد من أخصب أغراض الشعر العربي فقد تطور وتجدد في أكثر من ناحية، فمن حيث الموضوع أصبح يتناول مظاهر حضارية جديدة, كوصف المنشآت والمدن والقصور والدور والمباني والمناظر الطبيعية بكل أنواعها وأشكالها.

فهاهو الشاعر أبو تمام يعبر عن إحساسه ومدى إعجابه بجمال الطبيعة فيصف الربيع في قوله:

دنيا معاش للورى حتـــى إذا جُلي الربيع فإنّما هي منظر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها نورا تكاد له القلوب تنــوّر
من كل زاهرة ترقرق بالنّـدى فكأنّها عين إليك تحــدّر[1]

كما وصف الشاعر ابن عمرو السلمي قصرا لهارون الرشيد قال فيه :

قصر عليه تحية وســـلام نثرت عليه جمالها الأيـــام
قصر شقوق المزن دون شقوقهوفيه لأعلام الهدى أعـــلام
نثرت عليه الأرض كسوتها التي نسج الربيع وزخرف الأوهـام

وكذلك الرثاء كباقي الأغراض الأخرى سايرركب الحياة فتطور وتتجدد تبعا لتطورها وتجددها على يد العديد من شعراء هذا العصر، ومن الضروب الجديدة التي عرفها ولأول مرة في تاريخ الشعر العربي رثاء المدن ويعود سبب نشأة هذا اللون إلى حب الإنسان العباسي للمدينة وما تحويه من ضروب الحضارة وألوان التمدن واللهو والمجون من جهة وإلى ما كان ينزل بها من نكبات وكوارث من جهة ثانية.

كالذي أصاب بغداد على إثرذلك الإقتتال الدموي بين الأمين والمأمون, مما جعل الشعراء ينظمون فيها أشعارا رثائية جاءت مصورة لما حل بها من دمار وخراب, فهذا عمرو ابن عبد الملك العتري المعروف بالوراق يصف ما حل ببغداد أثناء هذه الحرب فيقول :

يا رماة المنجنيــقكلكم غير شفيــق
ما تبالون صديــقكان أو غير صديق
ويلكــم تدرون ما ترمون, مرارالطريــق
ربّخــود ذات دلّوهي كالغصن الوريق
أخرجت من جوف دنياها ومن عيش أنيــق
لم تجــد من ذاك بدا أبرزت يوم الحريــق[2]

فمثل هذا الشعر الرثائي يعد تجربة جديدة في شعرنا العربي, إذ من الصعب أن نعثر على مثل هذه القصائد في شعرنا القديم, إن لم نقل لا وجود لمثلها على الإطلاق قبل العصر العباسي.

كما تعدالأشعار التي قيلت في رثاء الحيوانات والطيور الأليفة كالهر والقمري والشاة والببغاء وغيرها ألوانا جديدة شاع أمرها في هذا العصر.

أما الزهد فقد تصدى شعراؤه على اختلاف درجاتهم للتيار الإباحي الذي ساد في العصر العباسي بسبب شيوع الترف والبذخ وطغيان تيار اللهو والمجون، وهذا التصدي كان بتشجيع من الخلفاء والوزراء والأمراء ورجال الدّين الغيورين على الإسلام، فقاوموه عن طريق الوعض والإرشاد, فتيار الزهد جاء ثورة ورد فعل عن التيار المضاد, تيار اللّهو والمجون والإلحادوالفساد.

ويتزعم تيار الزهديّات أبو العتاهية حيث يقول:

الموت بين الخلق مشترك لا سوقة يبقى ولا ملــك
ما ضر أصحاب القليل وما أغنى عن الأملاك وما ملكوا

ومما وصلنا عن أبي نواس في مجال الزهد قوله:

أرى كل حي هالك وابن هالك وذا حسب في الهالكين عريق

---

[1] مصطفى بيطام, المرجع السابق، ص 295.
[2] المرجع نفسه , ص 282.

فقل لقريب الدار أنك ظاعـن إلى منزل نائي المحل سحيق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق[1]

وفيما يتعلق بغرض الخمريات الذي يفوق سائر الأغراض في التطور والتجديد فإن الملامح البارزة التي عرفها تتمثل في استقلاله ضمن قصائد ومقطوعات وحلوله محل النسيب في مطالع القصائد العباسية وخاصة في شعر أبي نواس الذي أجاد وابتكر هذا الفن.
وقد حاول استبدال المقدمة الطللية بمقدمة خمرية وكان يدعو دعوة حارة إلى المتاع بالخمر على شاكلة قوله:

عاج الشقي على رسم يسائلــه وعجت أسأل عن خمارة البلــد
يبكي على طلل الماضين من أسد لا درّ درّك قل لي من بنو أســد
كم بين ناعت خمر في دساكرها وبين باك على نؤي ومنتضــد
دع ذا عدمتك، و اشربها معتقـة صفراء تفرق بين الروح والجسد[2]

ولم يقف الشاعر العباسي عند هذا الحد، فقد أخذ ينمي بعض جوانب هذا الشعر حتى لتخرج منه فروع جديدة، حيث استحدث أغراضا لم يعرفها الشعر العربي من قبل لأن بيئته البدوية لم تكن تصلح لها ولا تعين عليها.

ومن بين هذه الأغراض المستحدثة :الشعوبية،والشعر التعليمي الذي سجل فيه الشعراء الكثير من القصص والتاريخ والدين والعلم والحكمة،كما أنه يعتبرأهم غرض استحدثه الشعراء العباسيون،وأول من ابتدعه "أبان بن عبد الحميد بن لاحق"ثم تبعه آخرون وأكثروا من النظم فيه، حيث يقول أبان وقد نقل كتاب كليلة ودمنة ونظمه شعرا ليسهل حفظه:

هذا كتاب أدب ومحـنــه وهوالذي يدعى كليلة ودمنه
فيه دلالات وفيه رشــد وهو كتاب وضعته الهــند
فوصفوا آداب كل عالـم حكاية عن ألسن البهائــم[1]

أما الشعوبية كموضوع جديد شاع أمره في هذا العصر، فيعد بشار بن برد وأبو نواس من أبرز الشعراء الموقدين لنيرانه، فالأول كان شديد الحقد والعداوة في نزعته على العرب وعلى دينهم الحنيف، وكثير الإفتخار بأصله الفارسي كالذي يتضح من قصيدته التي يفتخر فيها بالفرس ويدعي أنّ الرّوم أخواله قائلا:

هل من رسول مخبر عني جميع العـرب
من كان حيا منهـم ومن ثوى في الترب
جدّي الذي أسمو به كسرى وساسان أبي
وقيصر خالــي إذا عددت يوما نسـبي[2]

أما شعوبية أبي نواس فإنها لم تكن تتجاوز حدود الدعوة إلى نبذ التقاليد والعادات العربية الموروثة، كالوقوف على الأطلال والدمن وبكائها حيث يقول :

قل لمن يبك على رسم درس واقفا ما ضر لو كان جلس
اترك الربع وسلمى جانبــا واصطبح كرخية مثل القبس

وبالإضافة إلى هذا فقد كان هناك تجديد في لغة الشعر، وفي الأوزان والقوافي بحكم الظروف المستجدة على مسرح الحياة الإجتماعية والفنية على وجه الخصوص، وقد حاول الشعراء ابتكار أوزان ملائمة تتناسب مع ظروف العصر.

---

(1) مصطفى بيطام,المرجع السابق ، ص 367.
(2)المرجع نفسه, ص303.
(1)مصطفى بيطامالمرجع السابق,ص349.
(2)المرجع نفسه, ص367.

فمن خلال هذا اتضح لنا أن الظروف الجديدة التي أشرنا إليها قد غيرت من آفاق الشعراء وتفكيرهم وفتحت عيونهم على حياة جديدة كل الجدة، بعيدة كل البعد عن حياة أمثالهم من قدامى الشعر، حياة فيها حضارة وثقافة، وتحرر وزندقة، وهدوء واضطراب، وبساطة وتعقيد، وفيها كل ما يمكن أن يتصوره المرء في مجتمع واسع الأرجاء، متعدد الطبقات، مختلف النزعات والأهواء، تلتقي فيه فلسفة الإغريق بحكمة الهنود، وحضارة الفرس وزندقتهم بتقشف الإسلام ووَرعه، فجاء بذلك شعر هذا العصر عاكسا لهذه الحياة بمختلف مظاهرها الماجنة والجادة فكان صورة لها.

المبحث الأول: مفهوم الفكاهة وعلاقتها بالتجديد في فن الهجاء في العصر العباسي :

1- مفهوم الفكاهة:

- **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور:الفكاهة بالضم: المزاح، والمفاكهة : الممازحة. وفكّههم بملح الكلام أي أطرفهم، والفكه الذي يحدث أصحابه ويضحكهم، وقيل: الذي ينال من أعراض الناس.[1]

والفكاهة اسم من التفكيه والمزاح وما تتمتع به من حديث وسواه.[2]

وفكه الرّجل، يفكه، فكهاً وفكاهة أي كان طيّب النّفس مزّاحا ضحوكًا مضحكًا. قال الطغرائي : حلو الفكاهة، مر الجد، قد مزجت بقسوة البأس منه رقة الغزل .[3]

وقيل : التفكه : التندم، وفي التنزيل :« فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ » : و معناه : تندّمون .[4]

- **اصطلاحا :**

تعد الفكاهة ضربا من ضروب التسلية والترفيه عن النفس، عريقة عند العرب، ضاربة بجذورهاعبرماضيهم المجيد، فلقد رزق الله على حد تعبير أحد الأدباء:« العرب بسطة في سرعة الخاطر، وحضور البديهة، وكانوا كلّما ارتقوا في حياتهم، ارتقت فكاهاتهم وانتشرت وذاعت وملأت قصور الخلفاء والأمراء، وتناقلها المولعون بحفظ هذا اللون من الآداب ... وكلما فاضت الرفاهية في القصور العامرة بكل غال وثمين ملأت الفكاهة والمجون تلك القصور.»[5]

وفي الوقت نفسه تعد الفكاهة ظاهرة حضارية في الشعر العربي، تألق نجمها في العصر العباسي بعد أن هيّأ لها جو المرح واللهو في هذا العصر، وانتشار مجالس الأنس والسمر خاصة في قصور الخلفاء والأمراء والولاة، فعندما بلغت الدولة العباسية مبلغا عظيما في الرّقيّوالحضارة، ومال الناس إلى البذخ والترف والترفيه عن النفس، وغدت أبواب الرزق مفتوحة ومتسعة، أصبح الخلفاء والأمراء والأشراف وذوو المكانة المرموقة في المجتمع الجديد يشعرون-عندما تتبعهم الأعمال المتشعبة والمسؤوليات الإدارية، وقضايا الرعية وأعباء الدولة - أنهم في أمسّ الحاجة إلى من يسليهم ويضحكهم وينسيهم متاعب المسؤولية وأعباء الأعمال اليومية،ويبعد عنهم كل ما يتعب العقل ويجهد النفس ويطرد الملل والسأم، ولهذا غدت قصورهم وبلاطهم مكتظة بالمحترفين والمشتغلين بوظيفة الضحك ومهمة الإضحاك.[1]

على أن الفكاهة لا تهدف دائما للإضحاك فقط، فقد استعملها فريق من الشعراء للسخرية والنقد لبعض ما لا يروقهم من الأفكار والعادات، وبالتالي فهي تقوم بوظيفة النقد والدعوة إلى الإصلاح أيضا، كما أنها تتميز في أغلب الأحيان بالخروج عن المألوف.[2]

وقد كان الشعراء في طليعة من عمل على ترويج فن الفكاهة والإضحاك وإشاعته إضافة إلى عامل الرخاء وتشجيع الخلفاء والأمراء ووجهاء العصر وعامة القوم على نشر هذا الفن الذي اقتصر على العرب ولم يعرفه الغربيون قبل هذا العصر.

وأكثَر هؤلاء الشعراء العباسيون من الإنشاد في هذا اللون من الشعر، وخاصة في غرض الهجاء، والشكوى والمنادمة والزندقة والخلاعة والتظرف وسواها، وكان أبو دلامة في مقدمتهم، إضافة إلى بشار بن برد وأبي نواس وغيرهم .[3]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، الطبعة4، دار صادر ، بيروت، 2005، ص 213.
(2)خليل الجر، المعجم العربي الحديث "لاروس" ، مكتبة لاروس، باريس، 1973، ص916.
(3)علي بن هادية، القاموس الجديد ، الطبعة 7، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991 ، ص788.
(4) ابن منظور، المصدر نفسه، ص213.
(5) مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر، ص125.
(1) مصطفى بيطام, المرجع السابق، ص126.
(2) ينظر:سراج الدين محمد، النوادر والطرائف في الشعر العربي، دار الكتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص125.
(3)مصطفى بيطام ، المرجع السابق، ص125.

2- الشعر الفكاهي وعلاقته بالتجديد في فن الهجاء في العصر العباسي:

تدور الفكاهة عادة في الأدب العربي بين شخصين أو أكثر حول القصائد الهجائية التي تعد مدارا أكبر لها، ومثال ذلك الهجاء المتبادل الذي كان يجري بين بشار بن برد وحماد عجرد والمعتمد على المسخ والشتم والسخرية، وقد كان حماد عجرد عنيفا فاحشا في هجائه يحقّر من شأن بشار و يمسخ صورته الآدمية في أسوء صورة، وأبلغ ما هجا به بشارا قوله:

نهاره أخبث من ليلـــه ويومه أخبث من أمســـه
وليس بالمقلع عن غيــه حتى يوارى في ثرى رمسه
ما خلق الله شبيها لـــه من جنه طرًّا أو من أنسـه
والله ما الخنزير في نتنـه من ربعه بالعشرأو خمسـه
بل ريحه أطيب من ريحه و مسه ألين من مســـه
ووجهه أكرم من عـوده وجنسه أكرم من جنسـه[4]

وأمام هذه الطعنات الساخرة والمؤلمة لبشار فإنه لم يقف مكتوف اليدين، بل تصدى لخصمه مسددا له أعنف الطعنات التي جادت بها قريحته، ومنها هذه الأبيات التي أراد من ورائها إثارة غضب الربيع بن يونس-وزير المهدي- الذي جعله مؤدبا لابنه والتي بعث بها بشارا إليه يهجو فيها حمادا وفيها يقول:

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم
إنّ حماد عجــردإن رأى غفلة هجم
إن خلا البيت ساعة مجمج الميم بالقلـم[1]

ففي هذه الأبيات سخرية وتهكم من حماد عجرد الذي شبهه بشار بالذئب في غدره ولهذا يجب التنبه لمخاطره والحذر من إدخاله إلى البيوت الشريفة حتى لا يهتك حرمتها ويلوث سمعتها.

وأهم ما يلاحظ عن الهجاء في العصر العباسي تحوله عن الطريقة التقليدية القديمة التي تميل إلى الجد، وتنعى عن المهجو تخلفه في ميادين الشجاعة والكرم وحماية الجار وأشباه ذلك من الفضائل البدوية إلى طريقة حديثة أهم مظاهرها التهكم بالمهجو واضحاك الناس منـه، وقد ذكر علي بن عبد العزيز الجرجاني في "الوساطة" :

« فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه، وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب، ولصوقــه بالنفس. »[2]

فهو يرى أن أحسن الهجاء وأبلغه ما كان فيه نوع من الفكاهة والخفة حتى تقترب معانيه من قلوب الناس فيسهل حفظها وتناقلها،ومن هذا قول ابن الرومي في رجل طويل أبله :

طول وعرض بلا عقل ولا أدب فليس يحسن إلاّ وهو مصلوب .[3]

ففي هذا البيت الذي يهجو فيه ابن الرومي هذا الرجل، نوع من الفكاهة والسخرية التي تدعو إلى الضحك فصورة هذا الرجل الطويل العريض الأبله وهو مصلوب هي صورة مضحكة.

ويقول محمد مصطفى هدارة:« ولكننا نعتبرأن التطور الفني الذي حدث أساسه الهجاء الساخر الذي يستهدف اضحاك الناس على المهجو، وسخريتهم منه.»[4]

فحسب رأي "هدارة" أن الميزة الأساسية والسمة البارزة للهجاء في العصر العباسي هي السخرية والضحك على المهجو، مثل قول أبي نواس في هجائه لأبان اللاحقي ساخرا منه :

---

(4) المرجع نفسه، ص266.
(1) مصطفى بيطام، المرجع السابق، ص267.
(2)أمين أبو الليل، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، الطبعة 1، عمان، الأردن، 2007،ص76.
(3)حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة 10، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 1980، ص539.
(4)نور الدين السّد، الشعرية العربية، ص252.

صحّفــت أمك إذ سمّتك في المهد أبانا
صيّرت " باءً" مكان "التاء" تصحيفا عيانا
قد علمنا ما أرادت لـم ترد إلاّ"أتانا".[1]

كما تنظم القصائد الهجائية كذلك في النقد الإجتماعي والأخلاقي الذي يستهدف عدة جوانب كالحمد والذم في أخلاق الأمة وأخلاق الرعاة والرعية، حيث يقول شوقي ضيف في هذا الباب: أن أصحاب هذا الفن « لم يتركوا مثلبة خلقية أو نفسية في شخص إلاّ صوّروها وكأنما يريدون أن يطهّروا المجتمع منها، ولم يتورّعوا أحيانا عن هجاء الخلفاء والوزراء كلما رأوهم ينحرفون عن الجادة.»[2]

فهذا قول ابن المعتز يصور فساد الوزراء، ومصادرتهم أموال الناس وأخذهم الرشاوي وعلى رأسهم اسماعيل بن بلبل:

وما نسينا مصرع الكفور الجاهل المخلط المغرور
إذ قدر الخلاف والعصيانا فزاده رب العلا هوانا
يكنّى بصقر و أبوه بلبـل هذا لعمري باطل لا يقبل. [3]

وكذا علي بن الجهم الذي لا يقل جرأة عن سابقه، حيث يقول في هجائه لمحمد بن عبد الملك الزيّات الذي كان وزيرا في خلافة الواثق بالله :

لعائن الله متابعـــات مصبحات و مهجـــرات
على بن عبد الملك الزيّات عرّض شمل الملك للشتـات
و أنفذ الأحكام جائـــرات على كتاب الله زاريـــات
و عن عقول الناس خارجات يرمي الدواوين بتوقيعـات
بعد ركوب الطوف في الفرات و بعد بيع الزيت بالحبـات
صرت وزيرا شامخ الثبات هارون يا بن سيد السـادات
أما ترى الأمور مهـملات تشكو إليك عدم الكفـــاة
فعاجل العلج بالمرهفـــات من بعد ألف صخب الأصوات.

فالشاعر قد استهل هذه القصيدة بالتعجب من أمر هذا الذي كان بالأمس يقود قاربا في نهر الفرات، ويبيع الزيت في شكل حبات في السوق وإذا به يعتلي أريكة الوزارة، فصار يسوس أمور الناس عن غير دراية ويبتّ في مسائل بطرق جائرة ومنافية لروح الشريعة الإسلامية, ثم طلب من الخليفة العباسي إذا ما أراد أن ترضى عليه الرعية أن يجلد وزيره المستبد الجاهل لأمور الدين ألف سوط، وبذلك يشفي غليل الرعية التي أساء إليها .[1]

فهذا النقد الإجتماعي الذي يمثله شعر الهجاء يرينا أن العربي يقرن بين الهزل والمهزلة وأنّ المضحك عنه هو الشيء الهزيل في العمل أو في القول، فلا تخلو حالة مضحكة عنده من الكشف عن ضعف وذلة وتحقير وغيرها.

وبصورة عامة فإن الهجاء موضوع يهدف إلى الإصلاح والتغيير بأسلوب ساخر يكشف الزيف ويواجه التشوه على الصعيد الإجتماعي والسياسي والأخلاقي.

إضافة إلى اتجاهه في هذا العصر نحو التصوير الكاريكاتوري الذي يعتمد فيه أصحابه على استغلال العيوب الخلقية وإبرازها بالطول أو بالعرض أو بالتضخيم أو بالتصغير ابرازا مضحكا في كل صوره، فقد كان ابن الرومي هجّاءا ساخرا صاحب فلسفة في هذا الفن يعرف كيف يصور

---

[1] جعفر خرياني ، أبو نواس الحسن بن هانئ، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1990، ص63.
[2] مصطفى بيطام، المرجع السابق، ص 265.
[3] أمين أبو الليل، المرجع السابق، ص77.
[1] مصطفى بيطام، المرجع السابق، ص272.

العيوب الجسدية والمعنوية تصويرا مضحكا، كتصويره لبعض مهجويه بحيوانات مجترة ولم يعجبه أحد المغنين، فصوره في تحرك فكّيه في الغناء بالبغل حين يحركفكيه لأكل طعامه.[2]
حيث يقول:

وتحسب العين فكّيه إذا اختلفا عند التنغم فكّي بغل طحان[3]

ويقول أبو دلامة في وصف امرأته وصفا ساخرا يبعث على الضحك، أملا منه في الحصول على جوائز الخليفة المنصور أو على الأقل ما يسد به رمقه ويسكت ألم الجوع الملم بصبيته وعياله ذوي الوجوه الذابلة:

لا بارك الله فيها من منبـــهة هبت تلوم عيالي بعدما هجعوا
ونحن مشتبهوا الألوان أوجهـنا سود قباح وفي أسمائنا شنـع
إذا تشكت إلي الجوع قلت لهـا ماهاج جوعك إلا الرّي و الشبع[4]

كما تميز أبو نواس كذلك بهجائه الكاريكاتوري الساخر، حيث يقول:

رأيت الفضل مكتئبـا يناغي الخبز والسمكا
فقطب حين أبصرنـي ونكس رأسه و بكـى
فلما أن حلفـت لـه بأني صائم ضحكـا[1]

وهي صورة لبخل صديقه وشحه .
ومن هنا يتضح لنا أن تطورالهجاء في العصر العباسي كان بخروجه عن النهج التقليدي إلى نهج هو أكثر مرونة من سابقه، ألا وهو اتجاهه نحو السخرية والهزء والإضحاك

المبحث الثاني : خصائص الشعر الفكاهي:

1-الخفـة والظرافـة: وتعتمد على خلفية ذهنية ورصيد من الخبرة في الحياة اليومية أكثر من اعتمادها على أوجه التضارب التي تنشأ بطبيعة الحال في كثير من المواقف, بحيث يشترط في الفكاهي أن يكون صاحب ذكاء يجعله يبحث عن الحيلة ويتدبر الخطط وينسج خيوطها, وأن يمتاز بنظره الثاقب وبموهبته الأصيلةالتي تضفي عليه خفة ولطفا فتأتي فكاهته لبقة غير مصطنعة.[2]

وهذا ما نجده عند بشار بن برد في أبيات له تحكي قصة عشق حمار لأتان، حيث ذكر الرواة أنه مات لبشار بن برد حمارا، فلما زاره أصدقاؤه أظهر لهم أنه مغموم محزون،فألحّوا عليه في السؤال يريدون أن يعرفوا سبب حزنه وغمه فقال لهم: إنّني رأيت حلما مزعجا، رأيت حماري في النوم، فقلت له: ويلك مالك مت؟ قال إنكركبتني يوم كذا، فمررنا على باب الأصبهاني، فرأيت أتانا (أنثى الحمار) عند بابه فعشقتها فمت: وزعم بشار أن حماره أنشده المقطوعة التالية:

سيدي مل بعنانـي نحو باب الأصبهاني
إن بالبابأتانـا فضلت كـل أتان
تيمتني يوم رحنـا بثناياها الحسـان
تيمتنيببنـان وبدل قد شجانـي
وبحســن ودلال سل جسمي وبرانـي
ولها خد أسيــلمثل خد الشيفـران

---

(2) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، الطبعة4، دار المعارف، ص316.
(3)أمين أبو الليل، المرجع السابق، ص 183.
(4) مصطفى بيطام، المرجع السابق، ص 130.
(1)جعفر خريباني، المرجع السابق، ص 61.
(2)ينظر: سراج الدين محمد,المرجع السابق, ص6.

فبها مت ولـو عش ت إذن طال هوانـي

فقال له أحد جلسائه: وما الشيفران؟! قال: ما يدريني؟! هذا من غريب الحمار، فإذا لقيتم حمارا فاسألوه.[1]

وكذا عند أبي نواس المعروف بخفة روحه ودعابته وظرفه، فمن نوادره وملحه في هذا الباب أنه حينما وقف مع جماعة من إخوانه على باب أستاذه عبد الواحد بن زياد المحدث قال لهم عبد الواحد : ليسأل كل منكم حاجته، فقال أبو نواس :

و لقد كنا روينـــا عن سعيد بن قتـادة
عن سعيد بن المسيّ ب أن سعد بن عبادة
قال من مات محبّـا فله أجرالشهـادة

فقال عبد الواحد : اغرب يا خبيث، و الله لا أحدثك بشيء.[2]

هكذا جعلت هذه الميزة من بعض الشعراء شخصيات مضحكة بظرافتها وخفة روحها وظلها.

2- التهكّم: ويظهر التهكم الضعف الإنساني ويجعل منه موقفا مضحكا، كما يحاول أن يعالج الحماقة بأن يجعل الناس يضحكون عليها، وهذا ما نجده عند أبو دلامة الذي وصل به الأمر إلى أن يتهكم بنفسه يريد بذلك الإحتيال على القوم ليضحكهم، إذ يروى عنه أنه وقع مرة في مأزق لما دخل على المهدي، حيث وجد عنده عددا من الأشراف وجماعة من بني هاشم فقال له المـهدي: والله لن تبرح مكانك حتى تهجو واحدا ممن هم في حضرتي، وإلا قطعت لسانك وضربت عنقك؟ فنظر إلى القوم، وكلما نظر إلى واحد منهم غمزه حتى يكفّ عنه مؤملا إيّاه بهدية، عندها قال أبو دلامة : فعلمت أني وقعت ولم أر أحق بالهجاء مني، ولا أدّعي السلامة من هجاء نفسي فقلت:

ألا أبلغ أبا دلامـــــة فليس من الكرام و لا كرامه
إذا لبس العمامة كان قـردا و خنزيرا إذا نزع العمامـه
جمعت دمامة و جمعت لؤما كذلك اللؤم تتبعه الدّمامــه
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامـه

فضحك القوم و لم يبقى واحد إلا أجازه.[3]

فأبو دلامة في هذه الأبيات جعل من نفسه أضحوكة بين القوم حين بدأ يعدد مساوئه ويشبه نفسه بالقرد والخنزير، وهي كلها تشبيهات مقرفة مضحكة في الوقت نفسه.

ويقول بشار بن برد في تهكمه من العرب :

أحين كسيت بعد العري خزّا ونادمت الكرام على العقـار
تفاخر يا بن راعيـة و راع بني الأحرار حسبك من خسار
وكنت إذا ظمئت إلى قـراح شركت الكلب في ولغ الإطار
تريد بخطبه كسر الموالـي و ينسيك المكارم صيد فـار.[1]

فهو يصف العربي بأنه عاري الجسد، راع ابن راعية، إذا عطش شرب مع الكلب من مصدر واحد ومع هذا يتجرأ بالمفاخرة على الموالي، ناسيا حياته القائمة على صيد الفئران.

---

[1] علي نجيب عطوي، بشار بن برد، حياته وشعره، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1990، ص157.
[2] زين كامل الخويسكي، في الأدب العباسي والأندلسي، دراسات ونصوص، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص197.
[3] مصطفى بيطام، المرجع السابق ، ص128.
[1] عبد الله التطاوي، مرجعية الشعر العباسي بين الخبر و النص، الطبعة 1، الدار المصرية اللبنانية،2006، ص49.

3-السّخريـة: وهي أكثر قسوة من التهكم إذ غالبا ما تأخذ شكل خطاب لاذع، وهي طريقة تعبيرية متطورة، لجأ إليها الشعراء لنقد الأوضاع الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والفردية وتصويرها في صور شعرية تبعث على السخرية منها، وبالتالي محاولة تجاوزها إلى ما هو أفضل.[2]

ومثال ذلك قول ابراهيم بن العباس ساخرا من صديقه الذي تنكر له وجحد معروفه:

ولما رأيتك لا فاسقـــا تهاب ولا أنت بالزاهـــد
وليس عدوك بالمتـــقى وليس صديقك بالحامـــد
أتيت بك السوق سوق الرقيق فناديت هل فيك من زائـد
على رجل غادر بالصديـق كفور لنعائمه جاحـــد
فما جاءني رجل واحـــد يزيد على درهم واحـد
سوى رجل حار منه الشقـا وحلت به دعوة الوالـد
فبعتك منه بلا شاهـــد مخافة أدرك بالشاهـــد
وأبت إلى منزلي سالمـــا وحل البلاء على الناقـد.[3]

فهذه المقطوعة الساخرة تمسخ هذا الصديق مسخا حتى لتجعله حيا كميت وموجودا كمعدوم.

ويقول ابن الرومي في صاحب الإدعاء الفارغ:

أطلق الجرذان باللـــيل وصح : هل من مبـــارز؟ [1]

فهو يسخر من هذا الرجل الذي يدّعي القوة والشجاعة.

ويقول أبو الطيب المتنبي ساخرا من وجه كافور الإخشيدي،حيث صب عليه نار هجائه وأخرج كل ما لديه في تحقيره:

وأسود مشفره نصفـــه يقال له:أنت بدر الدجـــى.

ويقول أيضا في سخريته من رجليه:

وتعجبني رجلاك في النعل إننـــي رأيتك ذا نعل وإن كنت حافيـــا.[2]

ويسخر أبو نواس من بخل اسماعيل بن نوبخت فيقول:

على بخل اسماعيل وافية البخـل فقد حل في دار الأمان من الأكـل
وما خبزه إلا كآوى ترى ابنـها ولسنا نراها في الحزون وفي السهل
وما خبزه إلا كعنقاء مغـــرب تصور في بسط الملوك وفي المثـل
يحدث عنها الناس عن غير رؤية سوى صورة ما إن تمر ولا تحلـى.[3]

فالسخرية إذن تنشأ غالبا عن دقة في لمح العيوب الجسمانية وغير الجسمانية عند الخصوم وتوظيفها في قوالب شعرية بحيث تدفع إلى الضحك.

4- التصويـر الكاريكاتـوري:ويعتمد على رسم شخصية المهجو من ناحية معنوية أو جسمية، بحيث يقف عند نواحي الضعف ويكبرها ويظهرها في أوسع صورة لها،فهو بمثابة رسم ساخر يحمل مفارقات جسدية وشكلية تبعث على الضحك والإشفاق،وقد برع فيه ابن الرومي الذي كان يعبث بمهجويه عبثا لاذعا حيث يصنع بهم صنيع أصحاب الصور الكاريكاتورية، فهم يضعون مثلا رأسا كبيرا على جسم صغير، أو يخالفون في أعضاء الجسم فيركبونها عليه تارة بالطول وتارة

---

[2] نور الدين السد، المرجع السابق ، ص454.
[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص211.
[1]حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص539.
[2]عبد الله التطاوي، المرجع السابق، ص50، 51.
[3]محمد سلام زغلول، الأدب في عصر العباسيين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص396.

بالعرض، وهو تركيب مضحك في كل صوره وهيئاته، وهكذا كان ابن الرومي يتناول من يهجوه فيشوهه تشويها غريبا، مستخدما ما يمتاز به من بعض النقائص الجسدية، مثل قوله في الأحدب الذي كان يتطير به:

قصرت أخادعه وغاب قذاله فكأنّه متربّص أن يصفعـا
وكأنّما صفعت قفاه مـرّة وأحسّ ثانية لهافتجمّعـا.[1]

ويقول أيضا في أحد مهجويه، ويصوره يجترّ كالحيوانات المجترّة:

بعض أضراسه يكادم بعضا فهي مسنونة بغير سنـون
لا دؤوب إلا دؤوب رحاها أو دؤوب الرّحى التي للمنون
ما ظننت الإنسان يجترّحتى كنت ذاك الإنسان عين اليقين.[2]

ويقول منصور الأصفهاني في هجاء من اسمه المغيرة :

وجه المغيرة كله أنـف موف عليه كأنه سقـف
رجل كوجه البغل طلعته ما ينقضي من قبحه الوصف
من حيث ما تأتيه تبصره من أجل ذاك أمامه خلـف
حصن له من كل نائبـة وعلى بنيه بعده وقـف.[3]

فهو لا يرى في مهجوه ما يستحق المديح والثناء، ولهذا لم يجد وسيلة إلى تحاشي هجائه خاصة وأن صورته الكاريكاتورية يمكن استغلالها كموضوع للسخرية والترفيه والضحك، وهكذا راح يسلط أضواء كاشفة على خلقة المغيرة، فتراءت له صورة أنفه الضخم، ووجهه القبيح، وشكل جسمه غير المتناسق وسوى ذلك، وراح يشكل هذه الصورة الشعرية الباعثة على السخرية من التشوه الإنساني، وقد سعى إلى تجسيم هذه الصورة وتشخيصها بكل ما يمتلك من طاقة تعبيرية.

كما يمكن أن نذكر أيضا ما يصوره شعر بشار في أهاجيه المصورة لمختلف الأفراد وعيوب المجتمع، حيث يقول في هجاء واصل بن عطاء ساخرا من طول عنقه، ويقال إنه لقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين :

مالي أتابع غزالا له عـنق كنقنق الدوّ إن ولىّ و إن مثلا
عنق الزرافة ما بالي و بالكم تكفّرون رجالا كفّروا رجلا.[4]

فبشار ينعت واصل بن عطاء بالسذاجة والحمق، ويصفه بذكرالنّعام التائه بالفلاة، وهي إشارة إلى عدم التركيز في فتاوى واصل ضد من يتّهمهم بالكفروالزندقة.

المبحث الثالث: أنواع الفكاهة وروادها في العصر العباسي:

1- أنـواع الفكاهـة:الفكاهة نوعان**:** خيالية ولفظية**.**

- **الفكاهـة الخياليـة:**وهي التي تعرض صورة من صور الخيال يبسم لها القلب وتحسب أن البيت الذي يحتويها صورة لا بيت شعر،أي التي تعتمد على التصوير الكاريكاتوري،وهي نوع من الخيال مجالها حيث يتضاءل الجد ويكثر الهزل، أي هي الخيال في حال تبسطه، ومن أجل ذلك كانت الفكاهة لا تستعمل في مكان الجد.

ومن أمثلةهذا النوع من الفكاهة قول ابن الرومي في رجل أصلع:

---

[1]شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، الطبعة12، دار المعارف، القاهرة،ص213.
[2]المرجع نفسه، ص214.
[3]نور الدين السد، المرجع السابق، ص453.
[4]علي نجيب عطوي، المرجع السابق، ص69، 70.

يأخذ أعلى الوجه من رأسه أخذ نهار الصيف من ليله.[1]

فابن الرومي في هذا البيت ألف بين صورتين متباعدتين وهما أن صلع الرجل قد جعل وجهه صغيرا على رأسه آخذا منه، وأن تزايد نهار الصيف يجنى من تناقص ليله، فوجه الشبه بين الصورتين قريب متين،لأن التطير عند ابن الرومي يبعثه سوء الظن، وهذا الأخير يدعو المرء إلى اتهام الناس بمعاداة صاحبه، وذلك يبعث على تطلب السبيل الدمث لهجائهم وانتقاصهم وأوجع الهجاء ما جعل المهجو ضحكة في أفواه الناس، فسوء رأي ابن الرومي هو الذي استقدح الفكاهة في خياله.

ومن أمثلتها أيضا قول المتنبي في رجل أعور:

فيا ابن كروس يا نصف أعمى وإن تفخر فيا نصف البصير.[2]

ويقول في رجلين قتلا جرذا وأبرزاه ليتعجب الناس من كبره:

وأيكما كان من خلفه فإنّ به عضة في الذنب.[3]

فهذه الصورة الخيالية المضحكة تصور شجارا بين رجلين وبين جرذ، فادعى الشاعر أن أحدهما قد عضّ الجرذ في ذنبه.

- **الفكاهة اللفظية:**أصلها المغالطة، يلتذها المرء بملكة المنطق، لأنها مغالطة منطقية يبسم لها الذهن،وقد أكثر الشعراء العباسيون من استعمال هذا النوع من الفكاهة لأنهم تفننوا في أنواع المغالطة المنطقية، فقد يجيئون بها مليحة كما قد يجيئون بها سمجة، ومن هؤلاء الشعراء المتنبي الذي يقول:

كأن السمانى إذا ما رأتك تصيدها تشتهي أن تصادا.[1]

فهو في هذا البيت يريد أن يوهمنا أن طائر السمانى إذا ما رأت هذا الصياد فإنها تتمنى أن يأتي ليصيدها، وهي مغالطة منطقية، تدخل في إطار الفكاهة اللفظية.

وليس لنوعي الفكاهة حدود، فلا نستطيع أن نقول هذا حد الفكاهة الخيالية التي تعتمد على تشويه شخصية المهجو بحيث تدفع إلى الضحك وهو غاية ما يصبو إليه الشاعر في أغلب الأحيان، أو أن نقول هذا حد الفكاهة اللفظية لأنهما قد يمتزجان ، مثل قول ابن الرومي في رجل بخيل مزج فيه كلا النوعين:

فلو يستطيع لتقتيـــره تنفس من منخرواحـد.[2]

فهذا البيت يلمح لصورة فكاهية، صورة رجل من بخله يتنفس من منخر واحد ، ولكنها مغالطة حسنة لأن البخيل مهما كان بخيلا فإنه لا يجد نفعا له في أن يتنفس من منخر واحد حتى لو استطاع ذلك.

ولكن لا مغالطة في تشبيه تطاول وجه الأصلع على رأسه بتزايد نهار الصيف وتناقص ليله لأنه ليس معنى التشبيه والمشبه به سواء.

على أن أكثر الفكاهة اللفظية يجيء ممزوجا بشيء من الفكاهة الخيالية، وبقدر نصيبه منها يكون نصيبه من روح الشعر.

---

(1) عبد الرحمن شكري، دراسات في الشعر العربي، الطبعة1، الدار المصرية اللبنانية، 1994،ص175.

(2)المرجع نفسه، ص176.

(3)عباس محمود العقاد، الأدب و النقد، الطبعة 3، دار الكتاب المصري،القاهرة،2000،ص247.

(1) عبد الرحمن شكري، المرجع السابق، ص178.

(2)المرجع نفسه،ص180.

2- رواد الشعر الفكاهي في العصر العباسي:

لقد كثر الشعراء الذين اهتموا بهذا النوع من الشعر في العصر العباسي وعملوا على ترويجه وإشاعته، ومن أبرزهم على وجه الخصوص:

أبو دلامـة الذي عرف كيف يكتب الخلود لنوادره ومسلياته، ومن أمثلة ما أنشده في شعر الفكاهة، تصويره لحالته المأساوية وتهكمه بنفسه رغبة منه في الحصول على خير يريده، إذ يروى عنه أنه ولدت له بنت ليلا، فأوقد السراج وجعل يخيط خريطة من ثياب مستطيلة، فلما أصبح ذهب بالخريطة إلى الخليفة المهدي، فلما دخل عليه أنشده :

لو كان يقعد فوق الشمس من كـرم قوم لقيل اقعدوا يا آل عبـاس
ثم ارتقوا من شعاع الشمس من درج إلى السماء فأنتم أكرم النـاس

فقال له المهدي: أحسنت والله أبا دلامة! فما الذي غدا بك علينا؟ قال: ولدت جارية يا أمير المؤمنين، قال: فهل قلت فيها شعرا؟ قال: نعم، فقلت:

فما ولدتك مريم أم عيســـى و لم يكفلك لقمان الحكـــيم
و لكن قد تضمك أمّ ســـوء إلى لبانها و أب لئيـــم

فضحك المهدي و قال له: فما الذي تريده أن أعينك في تربيتها؟ قال: تملأ يا أمير المؤمنين هذه الخريطة، وأشار إليه بالخريطة التي كانت بين أصابعه، فأمر المهدي أن تملأ مالا، فملئت بأربعة آلاف درهم.[1]

ومن نوادره المضحكة أيضا عندما كتب إلى المنصور بعدما سجنه مع الدجاج بسب شربه الخمر:

أقاد إلى السجون بغير جـــرم كأني بعض عمال الخـــراج
و لو معهم حبست لكان سهـــلا و لكنّي حبست مع الدجـــاج
وقد كانت تخبرني ذنوبـــي بأني من عقابك غير نـــاج.[2]

ولم يتوقف الشاعر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى الإستهتار بفروض الدين كالصوم مثلا،حيث قال فيه بعض الأبيات الساخرة نذكر منها :

أضحى الصيام منيحا وسط عرصتنا ليت الصيام بأرض دونها حرش
إذا صمت أوجعني بطني و أقلقنـي بين الجوانح من الجوع والعطش
وإن خرجت بليل إلى مسجدهـم أضرّني بصر قد خانه العمش.[3]

أمّا **بشار بن برد** فقد كان يتمتع بنزعة من السخرية والإستهزاء وهذا ما يصوّره شعره الهجائي على وجه الخصوص، حيث يقول في هجاء العباس بن محمد عمّ المهدي وكان معروفا بالبخل:

ظل اليسار على العباس ممـدود وقلبه أبدا في البخل معقـود.[1]

---

[1] مصطفى بيطام، المرجع السابق، ص127.
[2] المرجع نفسه، ص129.
[3] المرجع نفسه، ص130.
[1] علي نجيب عطوي، المرجع السابق، ص75.

ومن أطرف معانيه أيضا قوله فيمن يسمى ابن قزعة :

فلا تبخل بخل ابن قزعة إنــّه مخافة أن يرجى نداه حزيــن
إذا جئته للعرف أغلق بابـــه فلم تلقه إلا و أنت كميــن. [2]

و قيل : إنّ رجلا سأل بشّارا عن منزل ذكره له فجعل يفهمه والرجل لا يفهم, فلما يئس منه بشارا أخذ بيده وقام يقوده إلى المنزل الذي يبتغيه وجعل ينشد في طريقه :

أعمى يقود بصيرا لا أبا لكــم قد ضلّ ما كانت العميان تهديه

وظلّ يقوده حتّى وصل به إلى المنزل ثمّ دفعه إلى داخله وقال له : هذا هو المنزل يا أعمى!. فما من حبّ في الخير جشم بشار نفسه أن يهدي الرجل إلى المنزل الذي ظلّ عنه ولكنها فرصة أتيحت له فأراد ألاّ تفوته حتى يسخر بالعمى والبصر في آن واحد.[3]

ونعثر كذلك في ديوان **المتنبي** على معاني الفكاهة والسخرية, ومنه قوله حين مرّ برجلين قتلا جرذا وأبرزاه يعجبان الناس من كبره:

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا صريع العطب
رماه الكناني و العامـري و تلاه للوجه فعل العـرب
كلا الرّجلين أتلى قتلــه فأيّكما غلّ حرّ السلــب
و أيكما كان من خلفــه فإن به عضّة في الذنـب.[4]

وأبيات أخرى نظمها في الرد على ذلك الشاعر الذي أرسل إلى سيف الدولة أبياتا يزعم أنه ألهمها في النوم فقال المتنبي يجيبه:

قد سمعنا ما قلت في الأحــلام و أنلناك بدرة في المنـــام
وانتبهنا كما انتبهت بلا شـيء فكان النوال قدر الكــلام.[5]

ويعد هجاؤه لكافور الإخشيدي من أجمل شعره, حيث وصفه وصفا كاريكاتوريا ساخرا فوصفه بقلة الوفاء والمكر, وخلف المواعيد, وعيره بأصله الوضيع وبضخامة مشفره وغلظ يديه ورجليه.

ومن هجائه التهكمي الساخر قوله:

من علّم الأَسْودَ المخصّى مَكْرُمَةً أباؤه البيض؟ أم أجداده الصيد؟
أم أذنه في يد النخاس راميــة أم قدره وهو بالفلسين مـردود.[1]

و يقول ساخرا من وجهه:

وأسود مشفره نصفـــه يقال له: أنت بدر الدّجــى.

ومن رجليه قائلا:

وتعجبني رجلاك في النعل إنني رأيتك ذا نعل وإن كنت حافيـا.[2]

فشعراء الدولة العباسية يستعملون الفحش في الهجاء، ولكنهم تفننوا في استعمال الفكاهة اللاّذعة، وممن استعمل الفكاهة منهم فأجاد أبو نواس وابن الرومي.

ومن بديع شعر **أبي نواس** في هذا الباب قوله في البخيل:

---

[2] محمد سلام زغلول, المرجع السابق, ص352.
[3] عباس محمود العقاد، الأدب والنقد، ص520.
[4] المرجع نفسه، ص247.
[5] المرجع نفسه, ص248.
[1] عبد الله التطاوي, المرجع السابق, ص50.
[2] المرجع نفسه، ص51

خبز الخصيب معلق بالكواكب يحمى بكل مثقف و مشطب
جعل الطعام على بنيه محرّما قوتا وحلله لمن لم يسغب.[3]

وقوله في هجاء صديقه لشحه وبخله:

رأيت الفضل مكتئبـــا يناغي الخبز و السمكـا
فأسبل دمعه لمـــــا رآني قادما و بكـــى
فلما أن حلفت لـــــه بأني صائم ضحكـــا.[4]

أما **ابن الرومي** فلا تخفى السمة الهزلية والمضحكة في شعره كذلك, حيث يقول في صاحب لحية طويلة لم يعجب بها ولا بصاحبها:

و لحية يحملها مائـــق مثل الشراعين إذا أشرعـا
لو قابل الريح بها مـــرّة لم ينبعث في خطوه أصبعا
أوغاص في البحربها غوصة صاد بها حيتانه أجمعـا.[1]

وممن استعمل الفكاهة في الهجاء من غير أن يبيح حرمة الأدب **أبو العلاء المعر**ي حيث يقول:

رويدك أيها العاوي ورائـي لتخبرني متى نطق الجمـاد.

و**أبو تمام** حيث يقول:

ألصقت قلبك من بغضي على حرق أضرّ من حرقات الهجر للجسد
أنحفت جسمك حتى لو هممت بـأن ألهو يصفعك يوما لم تجدك يدي.[2]

وهي فكاهة لبقة بعيدة عن الفحش والتهكّم.

---

[3]عبد الرحمن شكري، المرجع السابق، ص177.
[4]المرجع نفسه, ص178.
[1]عباس محمود العقاد, المرجع السابق, ص542.
[2]عبد الرحمن شكري، المرجع السابق، ص178.

-المبحث الأوّل: بشار بن برد:

***نبذة عن حياته:**

هو بشار بن برد بن يرجوخ، من كبار شعراء العصر العباسي الأوّل، عاش فترة زمن بني أمية، ولد بالبصرة سنة 110هـ الموافق ل724م، من أصول غير عربية، فكان فارسيا من جهة الأب، روميا من جهة الأم، وقد أشار إلى ذلك في شعره مفتخرا بنسبه فقال:

جدي الذي أسمو به كسرى وساسان أبي
وقيصر خالي إذا عددت يوما نسبي

نشأ بشار قنّا ابن قنّ، وولد أعمى حادّ الذكاء وفي ذلك يقول:

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا[1]

ولم يكن محبّبا ولا جذابا، بل كان ضخم الجسم والوجه، جاحظ العينين، دميم الخلقة، من بيت فقير لا يكاد يجد طعام يومه، والده كان يعمل طيّانا يضرب اللبن، وأخوان له قصابين أحدهما أعرج والآخر أبتر اليد، فعاش بذلك عيشة كفاف وشظف.

ولعل مركب النقص هذا الذي ابتلي به في عماه وفي خلقته وفقره كان له أعظم الأثر في عبقريته الشاعرة واتساع عارضته وسلاطة لسانه، فما كاد يشبّ عن الطوق حتى نشأ نشأة عربية أتقن فيها اللغة والأدب وساعدته على ذلك نشأته في بني عقيل.[2]

بدأ يقرض الشعر وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، فاتجه نحو الهجاء لطبيعة في نفسه، فكان يهجو الناس فيشكونه إلى والده فيضربه ضربا مبرحا، فما انتهى وقال لوالده: إنّ هذا الذي يشكونه إليك مني هو قول الشعر وإنّي إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي، فإن شكوني إليك فقل لهم: أليس الله يقول:« لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ »، فلما عاودوه بشكواهم قال لهم هذه الآية فانصرفوا وهم يقولون: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشّار.[3]

كما اتجه إلى المدح التكسبي ومن أهم الذين تعرّف عليهم ومدحهم: عقبة بن مسلم، خالد البرمكي، والخليفتان المهدي والمنصور.

قضى بشار شطرا كبيرا من حياته في البصرة، واتصل بحلقات المتكلمين وعرف آرائهم وأفكار الفلاسفة وقرأما ترجم من الهندية والفارسية ممّا أحدث له اضطرابا في تفكيره، فرمي بالزندقة والإلحاد والشعوبية.

اختلط بفئات القيان والمغنيات والسكارى، وكان عماه يحرمه رؤية الجمال فانشغل بالحس فكان غزله ماديا فاحشا، وكان الخليفة المهدي يمنعه من الغزل والفجور لكنه لا ينتهي، مما أغضبه منه وأخذ يتعقبه، فهجاه بشار هجاءا مقذعا، فوشى به الوزير-يعقوب بن داود -لحقده عليه، وأخذوا يتعلّلون له حتّى سمعوه يؤذن وهو سكران من غير أوان الآذان، فأمر المهدي بضربه سبعين سوطاحتى مات وكان ذلك سنة 166هـ/784م.[1]

---

[1] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص202.

[2] ينظر: داوود حنفي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، الطبعة2، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 1993، ص18.

[3] علي نجيب عطوي، المرجع السابق، ص12، 13.

[1] يحي شامي، موسوعة شعراء العرب، الجزء2، الطبعة1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1999 ص132.

كان بشار شاعرا غزير الإنتاج، مجددا في القصيدة العربية إلاّ أنّه لم يقطع صلته بالجذور ويظهر ذلك في مدحه، أمّا تجديده فقد ظهر خاصة في هجائهالذي يكثر فيه من وصف المهجو بأوجه العار الشائعة، ويتعرّض لنسبه العربي- وهذا باعتباره كان أعجميا متعصبا لأصوله الفارسية - ويجعل من المهجو ضحكة بين الآخرين، وذلك في عبارات قريبة المأخذ، سهلة الحفظ وأسلوب رشيق.

كما ظهر أيضا في فخره وغزله، وبذلك كان صورة لنفسية صاحبه المتقلبة الثائرة، ولبيئته المتأرجحة بين القديم والحديث.[2]

- التهكّم والسّخرية عند بشّار بن برد:

يكثر في فكاهةبشاربن برد السّخر الذي مصدره اللعب وقلة الإكتراث وذلك الإيذاء الإبليسي الذي يبدر من النفس عفوا بلا تعمّل ولا حماسة ولا التهاب وليست تنقصه أسباب هذه الفكاهة، لأن الذكاء وممارسة اللهو وفتور النخوة والتعرض لدواعي المزاج والتناقضبين معيشة الإنسانوالمعيشة التي تنبغي له وتنتظر منه، كل هذا من أدوات الفكاهة التي اشتهر بها بشار وأعانته عليها الفطرة والعادة، فحببت الناس فيه وأخافتهم منه.

ومن دأب ذوي العاهات الذين ينغمسون في غمار الحياة أن تكثر فيهم الدعابة المضحكة لأنهم عرضة لها في كل حين، فلابد لهم من سلاح حاضر يتقون به ما يصيبهم منها ويديرون به الفكاهة على من يقصدهم، فكان لابد لبشارأن يوطن نفسه على ما يلقى من السخرية والعبث في سبيل ذلك،وأن يخلع الحياء فلا يبالي بشرف ولا دين، وبمثل هذه الدعابة سار ذكره بين الظرفاء في عصره وصار بما اشتهر بهمن هجاء ساخر وتهتك ومجون، ووقائع غرام وغزل أعجوبة في أحاديث الناس يودّون رؤيتها والتعجب منها.[3]

وكما ذكرنا سابقا فإن أوّل ما طرق بشار من أبواب الشعر الهجاء، فقد هجا أشخاصا كثيرين، وكان هذا الهجاء عنده إمّا اندفاعيا تلقائيا يسكب فيه ما في نفسه من سخط وازدراء ورغبة في الشّر، أو أداة للتكسب يهّول بها على نفسه، وفي جميع الأحوال كان يحرص على أن يجعل من مهجوّه ضحكة بين الناس سواء بالإكثار من وصفه بأوجه العار الشائعة كالمجون والتهتك، أو بالتعرض لنسبه العربي آخذا في ذلك بالنزعة الشعوبية التي تزدري العرب وتفتخر بالأصل الأعجمي فينتزعمن بيئة المهجو وحياته معاني وتصاوير هزلية طريفة.[1]

ومن هذا اللون الأخير قوله ساخرا من أصل وعادات الأعراب وطرائقهمفي الحياةواشتغالهم بالرعي و انغماسهم في حياة البداوة واصفا إياهم بالذل والهوان وبسرعة الإنحطام:

أرفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنه عربي من قواريــر[2]
سأخبر فاخر الأعراب عنــي وعنه حين تأذن بالفخـــار
أحين كسيت بعد العري خزّا ونادمت الكرام على العقـار
تفاخر يا ابن راعيـة وراع بني الأحرار حسبك من خسار
و كنت إذا ظمئت إلـى قراح شركت الكلب في ولغ الإطار
تريد بخطبه كسر الموالــي وينسيك المكارم صيد فـار[3]

وقد قال بشار هذه الأبيات في هجاء أبي عمرو ابن العلاء و كان ابنه قد رمى بشارابأنه مولى لا عربي، فقال بشار: لا تبحث في نسب عمرو بحثا عنيفا فإنه نسب مغمور سريع الإنكسار، ثم انتقل

---

[2] حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص369.
[3] عباس محمود العقاد، الأدب والنقد، ص521.
[1] حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص376.
[2]القوارير : ج قارورة وهي إناء من الزجاج
[3]بشار بن برد،الديوان ، تقديم إحسان عباس، الطبعة1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000، ص450.

إلى وصف العربي بأنه عاري الجسد راع ابن راعية إذا عطش شرب مع الكلب من مصدر واحد، ومع هذا يتجرأ بالمفاخرة على الموالي ناسيا حياته القائمة على صيد الفئران.
ويقول فيه أيضا ساخرا من أصله سخرية لاذعة:

إن عمرا فاعرفوه عربي من زجـاج
مظلـــم النسبـة لا يعرف إلا بالسراج[4]

وقد كان للعوامل الأربعةالتي ذكرناها سابقا وهي الرق والعمىوالفقر وقبح المنظر أثر واضح في سلوك بشار وشعره فنشأ رافضا متمردا متعصبا للفرس كارها للعرب،ساخطا على عاداتهم، مما أدى به إلى التهكم والسخرية منهم .
ومما عرف عنه أيضا هجاؤه الشخصي والذي كان يوجّهه لمن يراهم من الثقلاءأو كانوا يحاولون التحقير من شأنه أوالتقليل من قدره وأول هذه الشخصيات حماد عجردالذي كان من أشد الناس بذاءة في الهجاء وكان دائم البحث عن أماكن يستطيع من خلالها إيذاء بشار كاستغلاله لمهنة والد بشار الحقيرة، ووصفه بأقبح الأوصاف وتشبيهه إيّاه بالقرد.
ومع هذا فقد كان بشار يتحاشاه مخافة بذاءته ورغبة في إهماله، لكنه لم يجد من فراره منجى له فعمد إلى هجائه، ومما قاله فيه هذه الأبيات التهكمية الساخرة:

نبّئت أنّك يا حمّاد تنبحنـــي والكلب ينبح مربوطا بساجــور
أحين هرّت كلاب الحي من حرسي واحمر من مهج الأجواف تصديري
وذّب عني غواة الناس معتديــا باب الحديد وصوت غير منــزور
تفشو إليّ بإشعار ملصقـــة مهلا أبا عمر ما أنت في العيـر[1]

ويقول في أبيات أخرى أراد من ورائها إثارة غضب الرّبيع بن يونس -وزير المهدي -الذي جعل حمادا مؤدبا لابنه فبعث بشار بهذه الأبيات يهجو فيها حمّادا ساخرا منه:

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم
إن حماد عجـرد إن رأى غفلة هجم
إن خلا البيت ساعة مجمج الميم بالقلم[2]

فلما قرأ الربيع هذه الأبيات قال: صيرني حماد دريئة الشعراء أخرجوه عني.
فبشار جعل من حماد هذا أشبه ما يكون بالذئب في غدره، ولهذا يجب التنبه لمخاطره إذا كان هناك من غنم خشية أن يفتك بها. وقال فيه أيضا وقد رماه بالزندقة وشرب الخمر:

نعم الفتى لو كان يعبد ربـــه ويقيم وقت صلاتـه حمــاد
وابيضّ من شرب المدامة وجهه وبياضه يوم الحساب سواد[3]

فحماد لا يعبد الله ولا يصلي صلاته بل هو مدمن على شرب الخمر حتى أصبح وجهه أبيضًا من كثرة معاقرته لها ولكن بياضه هذا سيتحول إلى سواد يوم القيامة لأنّه سيحاسب على أفعاله هذه.
كما اتجه بشّار في هجائه الساخر نحو التصوير الكاريكاتوري الذي يصّور فيه مختلف الأفراد وعيوب المجتمع على النحو الذي نجده في لاميته التي سنأتي على ذكرها، وإن كانت لا ترقى إلى التصوير الكاريكاتوري الذي سنجده في أشعار ابن الرومي فيما بعد.
وقد وصف بشّار في هذه القصيدة أضحية أهديت له فوجدها على حال من الهزال وعدم السمن فأنشد على الفور يقول بعدما أمر غلامه بالكتابة:

وهبت لنا يا فتى منقـــر وعجل وأكرمهـــم أولا[1]

---

[4]فوزي عيسى، في الأدب العباسي، دار المعارف الجامعية،2000 ، ص48.
[1] علي نجيب عطوي، المرجع السابق ، ص 68،69.
[2]مصطفى بيطام ، المرجع السابق ، ص 267.
[3] بشار بن برد، المصدر السابق، ص441.
[1]منقر: بوزن منبر: بطن من تميم، وعجل: في قبائل العرب عجلان، أحدهما بنو عجل بن عمرو وابن عبد القيس، والآخر عجل بن الجيم، من بكر بن وائل، وكلاهما من ربيعة، ومعنى أكرمهم أولا أكرمهم أصولا.

عجوزا أوردها عمرهـــا وأسكنها الدهر دار البلـــى
وضعت يميني على ظهرهـا فخلت حراقفها جنـــدلا
وقلبت أليتها بعـــد ذا فشبهت عصعصها منجـــلا
فقلت أبيع فلا مشربـــا أرجّي لديها ولا مأكـــلا
أم أشوي وأطبخ من لحمهـاوأطيب من ذاك مضغ السـلا
وكنت أمرت بها ضخمـــة بلحم وشحم قد استكمـــلا
فجاءتك حتى ترى حالهـــا فتعلم أني بها مبتلـــى.[2]

وهي إشارة إلى بخل هذا الفتى الذي أهدى له هذه الشاة الهزيلة.

وقال في سخريته من طول عنق واصل بن عطاء - رأس المعتزلة - ونعته بالسذاجة والحمق:

مالي أشايع غزالا له عنـق كنقنق الدّ وإن ولىّ وإن مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكمتكفّرون رجالا كفّروا رجـلا[3]

فهذه الأبيات تصوّر لنا واصل في هيئة ذكر النعام التائه بالفلاة وهي إشارة إلى عدم تركيزه في فتاويه.

ومن أطرف معانيه أيضا قوله فيمن يسمى ابن قزعة:

فلا تبخل بخل ابن قزعة إنّـه مخافة أن يرجى نداه حزيـن
إذا جئته للعرف أغلق بابــه فلم تلقه إلاّ وأنت كميـــن[4]

فهو ينصح بعدم تقليد ابن قزعة في بخله لأنّه يحزن ويأسى إن ترجّاه أحد في العطاء، فإن جاءه أحد لبيته طالبا كرمه فإنّه يغلق بابه في وجهه ولا يعطيه شيئا.

وقال في هجاء آل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس واصفا إياهم بالبخل:

يا أيها الرّاكب الغادي لطيّتـه لا تطلب الخبز بين الكلب والحوت
دينار آل سليمان ودرهمهـمكالبابليين حفّا بالعفاريـــت
لا يوجدان ولا يرجى لقائهمـا كما سمعت بهاروت ومـاروت.[1]

فكأن أموال آل سليمان من شدة حرصهم عليها وبخلهم بها على الناس حفّت بالعفاريت لا يستطيع أحد التقرب منها فبشّار ينصح الغادي إليهم بأن لا يلتمس العطاء منهم لأنهم بخلاء ليسوا أهلا للكرم والجود.

وفي هجائه للعباس بن محمد عمّ المهدي الذي كان غنيّا في ماله لكنه فقير في قلبه، فلم يجرؤ على العطاء مخافة الفقر، فأصبح معروفا بالبخل يقول بشّار:

ظلّ اليسار على العبّاس ممدود وقلبه أبدا في البخل معقـــود
إن الكريم ليخفي عنك عسرتك حتى تراه غنيا وهو مجهـــود
وللبخيل على أمواله عـلل زرق العيون عليها أوجه سـود.[2]

فببراعة فائقة يظهر بشّار المهجو في قالب من السخرية بحيث إن الإنسان يشعر بالإزدراء من أن يتصف بمثل هذه الصّفات، ثمّ نراه يقيم علاقة مقارنة بين صفات البخل وصفات الكرم وكأنّه يريد أن يغضّ من قيمة العبّاس بن محمد ويشوّه صورة كل من يحاول أن يقتدي به.

وقد امتاز بشّار بقدرته الخارقة على ربط عناصر التشبيه بعضها بعض، فقد اختار العيون الزرق للوجه الأسود ليدل على بشاعة الصورة لأن العيون الزرق تكون عادة في الوجه الأبيض، والعيون السود في الوجه الأسمر.

---

[2]بشار بن برد، المصدر السابق، ص399.
[3]محمد سلام زغلول، المرجع السابق، ص353.
[4] المرجع السابق، ص352.
[1] بشار بن برد، المصدر السابق، ص159.
[2] علي نجيب عطوي، المرجع السابق، ص75.

وهذا النوع من الهجاء هدفه تقديم صورة المهجو على نحو يبعث على الضحك والسخرية بحيث يبدو أقرب إلى الكاريكاتور وفيه يتجه الشاعر إلى تضخيم صورة المهجو والمبالغة في تصوير صفاته الجسدية والمعنوية.

وقال يهجو واسطا وهي موضع بين البصرة والكوفة في العراق:

على واسط من ربّها ألف لعنــة وتسعة آلاف على أهل واسط
أيلتمس المعروف من أهل واسط وواسط مأوى كل علج وساقط
وإنّي لأرجو أن أنال بشتمهـم من الله أجرا مثل أجر المرابط.[1]

فالشّاعر يتمنى أن ينال ثوابا وأجرًا كأجر المرابطين والصّابرين وهذا لتعرضه وشتمه لأهل هذه المدينة.

ولم يقف الأمر ببشّار عند هذا فحسب، بل وصل به إلى حدّ العبث والسخرية والإستهتار بأمور الدين كالصلاة والصوم وغيرها، وقد تردّدت مثل هذه المعاني بكثرة في شعره وهي ممّا يدل على تهتّكه وزندقته حيث يقول مستهترا بأهم الواجبات الدينية:

وإني في الصّلاة أحضرهــا ضحكة أهل الصّلاة إن شهدوا
أقعد في سجدة إذا ركعــوا وأرفع الرأس إن هم سجدوا
أسجد والقوم راكعون معــا وأسرع الوثب إن هم قعدوا
فلست أدري إذا إمامهـــم سلّم كم كان ذلك العــدد.[2]

ولا يترك بشّار من شرّه وعبثه حتّى شهرالصيام الذي يراه شهر القهر لملذّاته، ولهذا فهو يتوق لانقضائه حتى يعود إلى كامل حريته وفيه يقول:

قل لشهر الصيام أنحلت جسمي إن ميقاتنا طلوع الهــلال
أجهد الآن كل جهدك فينــا سترى ما يكون في شــوّال[3]

فهذا الأمر على ما فيه من الفكاهة والسخرية إلاّ أنّه يثير الحزن لحال مثل هكذا إنسان أكثر من إثارة الغضب عليه لاستهتاره الديني، فكان مقصّرا في دينه بدرجة كبيرة.

ومن طرائف بشّار التي نقلت عنه أيضا أن رجلا سأله عن منزل ذكره له فجعل بشّار يفهّمه والرجل لا يفهم، فلمّا يئس منه أخذ بيده وقام يقوده إلى المنزل الذي يبتغيه وجعل ينشد في طريقه:

أعمى يقود بصيرا لا أبالكـمقد ظلّ ما كانت العميان تهديه.

وظلّ يقوده حتى وصل إلى المنزل ثم دفعه إلى داخله وقال له هذا هو المنزل يا أعمى!

فما من حبّ في الخير جشم بشار نفسه أن يهدي الرجل إلى المنزل الذي ظلّ عنه ولكنها فرصة أتيحت له فأراد ألاّ تفوته حتى يسخر بالعمى وبالبصر في آن واحد.[1]

وقد كان آخر ما روي لبشار من الشعر الهجاء، فقد قال الرواة أن بشارا حقد علىالمهدي حقدا شديدا حين حرمه من الصلة بعد أن طالت أيامه على بابه دون أن يسمح له بالدخول أوالعطاءوأُعطي غيره من الشعراء فصار الناس يتندّرون منه، فذهب ذات يوم إلى حلقة يونس بن حبيب النحوي فسأل: هل هنا من يحتشم ؟ فقيل لا... فأنشد في هجاء المهدي:

بني أمية هبوا من رقادكــم إن الخليفة يعقوب بن داود
ليس الخليفة بالموجود فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود[2]

---

[1] بشار بن برد، المصدر السابق، ص383.
[2] بشار بن برد،المصدر السابق،ص444.
[3] عبد عون الروضان، المرجع السابق،ص89.
[1] عباس محمود العقاد، الأدب والنقد،ص520.

فما لبثوا أن أوصلوهاإلى المهدي، فأمر بقتله، فبشار قد أصاب بالهجاء وأصيب به من مطلع حياته إلى خاتمتها .

ولكن بشار لم يقتصر في شعره على الهجاء والسخرية والتهكم من الآخرين فقط، بل راح يتطرق حتى إلى المواضيع اليومية المبتذلة المضحكة التي لم يكن الشعراء القدامى ليحطوا فيها نظرة، مثل قوله في جارية له تدعى ربابة:

ربابة ربة البيـت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجـات وديك حسن الصـوت[3]

فهذا النوع من الشعر ينطوي على قدر غير يسير من النزعة الشعبية، ويقترب من طريقة العامة وبالتالي فطبيعي أن تتسعمثل هذه المقطوعات للفكاهة والتسلية، فمن ذلك هذه المقطوعة الهزلية الطريفة التي كتبها بشار على لسان حماره الذي شطه الغرام حتى أودى بحياته، فوافالشاعر في الحلم يطلعه على حقيقة أمره، فسأله بشار لم متّ فقال الحمار :

سيدي مل بعنانـي نحو باب الأصبهانـي
إن بالباب أتانـا فضلت كل أتـان
تيّمتني يوم رحنـا بثناياها الحسـان
تيّمتني ببنـان وبدلّ قد شجانـي
وبحسـن ودلال سلّ جسمي و برانـي
ولها خدّ أسيـل مثل خدّ الشيفـران
فيها متّ ولو عشت إذن طال هوانـي.

وعندما سأله أحد الحضور عن معنى كلمة (الشيفران) قال مجيبا: هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته لكم مرة ثانية سألته.[1]

فالسخرية إذا في هذه المقطوعة تنبع من عدة عناصر منها: منح الموضوعات الجادة صفة التفاهة، فالغزل وهو موضوع جاد يجري بمعانيه وأوصافه على لسان الحمار فتنتقل مقاييس الجمال من مجالها الطبيعي إلى مجال آخر، فتوصف الأتان بهذه المقاييس وتتحول عاطفة الحب إلى لون من العبث، وتكتمل السخرية باستخدام بشار لكلمة غريبة من ابتكاره وهي كلمة الشيفران ليسخر بها من اللغة ذاتها.

وهكذا كانت حياة بشار يغلب عليها الطابع الهزلي، وقد روى أبو حاتم عن أبي زيد في معرض مقارنته بين بشار ومروان بن أبي حفصة أنه قال :مروان أجد وبشار أهزل، ولما سُئل الأصمعي عن هذا الرأي قال: بشار يصلح للجد والهزل، وقد اتخذ بشار هذا الطابع في شعره للترويحعن نفسه المثقلة بالهموم، والتخفيف من آلامه ومعاناته في الحياة بسبب تلك الظروف والعوامل التي أشرنا إليها سابقا، والتي كانت سببا في استهزاء وعبث وسخرية الناس منه فكان بذلك مجبرا على اللجوء إلى مثل هذا اللون من الشعر دفاعا عن نفسه أيضا.

---

[2] عبد عون الروضان ، المرجع السابق ، ص 89.
[3] حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص 379.
[1] بشار بن برد، المصدر السابق، ص422.

- المبحث الثاني: أبـو نـوّاس

***نبذة عن حياته**:

هو أبوعلي الحسن بن هانىء بن عبد الأوّل بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي من ألمع شعراء العصر العباسي الأوّل، ولد بالأهواز إحدى قرى خوزستان في الجنوب الغربي من فارس سنة 145هـ الموافق لـ: 762م.[1]من أب عربي قيل أنه من دمشق من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة، انتقل إلى الأهواز فتزوّج من جارية فارسية تدعى جلّبان وأنجب منها عدّة أولاد منهم أبو نوّاس الذي تلقّن عنها الفارسية وحذقها، توفي أبوه وهو في الخامسة من عمره، فانتقلت به أمّه إلى البصرة وهو ابن ست سنين وألحقته بالكتاتيب ومجالس العلماء فحفظالقرآن وبعض الشعر، فتفتّحت بذلك موهبته الشعرية مبكرا، فأخذ ينظم الشعر، وكان لابد له أن يعمل ليعيل نفسه وأمّه، فعمل عند أحد العطّارين كأجير يبري عيدان الطيب.[2]

وكان في الوقت نفسه يوالي حلقات التدريس في اللغة والأدب، يتعلم أخبار العرب ونوادر الشعر والملح وحفظ منها الكثير، ثمّ تعرّف إلى والبة بن الحباب الشاعر الماجن المتهتك الذي اصطحبه معه إلى الكوفة، وهناك انغمس مع رفاقه أمثال: مطيع بن إياس، والحسين بن الضحاك في حياة اللّهو والمجون وكل ما فيه معصية فنشأ بذلك ماجنا لاهيا على طريقتهم، وحين عاوده العقل رحل إلى البادية وأقام فيها حولا من الزمن يتثقّف باللغة من منابعها الحقيقية، واتصل بخلف الأحمر الراوية المشهور وحمل عنه علما كثيرا وأدبا واسعا، وفي هذا يقول الجاحظ:

« ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح لهجة منه.»[3]

ثم ابتدأ يقرض الشعر وأجاد فيه حتى لمع نجمه وذاع صيته، فارتحل إلى بغدادوعاصرخلافة الرشيد والأمين والمأمون وكان قريبا منهم.

كان أبو نواس وسيم الطلعة، حسن القوام، نافذ الشعور، خفيف الروح، يجمع إلى ذلك كلّه ذكاء فريدا وثقافة عالية، فقد ألّم بثقافات عصره إلماما واسعا وورث عن الفرس حدّة مزاجهم وأخذت البيئة الماجنة تؤجّج هذه الحدّة بكل ما أخذه عن والبة وأضرابه حتى لنجده يخطو في الفسق والمجون خطوات فقد كان ميّالا إلى الخلاعة من فطرته، فزادته نشأته الشاردة الطائشة إغراقا فيها، فاتخذ المتعة منذ صباه مذهبا ودينا له.

إلاّ أنّ حياته كانت متقلّبة بين فسق وفساد، وصحوة ورجعة إلى الله، فقد تاب في أواخر حياته وجنح إلى الزّهد، ومما وصلنا عنه في هذا المجال قوله مسلّما أمره للقضاء والقدر:

ليس للإنسـان إلاّ ما قضى الله وقدّر

ليس للمخلوق تدب ير بل الله المدبّر[1]

توفي في بغداد، وتختلف الروايات في سنة وفاته أكانت سنة 195هـ أو 199هـ، كما اختلف في تحديد سببها فقيل إنّه توفي وفاة طبيعية، وقيل بل هجا اسماعيل بن نوبخت هجاء مقذعا ذكر فيه أمّه ورماه بالبخل والرفض، فدسّ له شربة سمّ قتلته بعد أربعة أشهر.[2]

---

[1] حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص391.

[2] أمين أبو الليل، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأوّل، الطبعة1، الوراق، 2008، ص151.

[3] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص127.

[1] مصطفى بيطام، المرجع السابق،ص188.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص266.

كتب أبو نواس في كل فنون الشعر، إلاّ أنّه تفوّق في الخمريات والغزل وكان مجيدا في المدح والهجاء، قاد ثورة على التقاليد القديمة في الشعر ودعا إلى التجديد في القصيدة العربية تجديدا على مستوى اللفظ، وآخر على مستوى المعنى، وقد دعاه إلى ذلك ميله إلى الإنطلاق والشذوذ والخلاعة والترف، وكذا البيئة الملائمة لنزعاته الطبيعية.[3]

-الظرف والفكاهة عند أبي نواس:

إنّ أول الملامح التي يمكن ملاحظتها في شخصية أبي نوّاس ميله إلى الهزل والعبث والدعابة والسّخرية، وقد شهد معاصروه بأنّه كان ظريفا يخلب الناس بظرفه وكثرة ملحه خاصة وأنّه رافق جماعة من الماجنين والخلعاء أمثال: والبة بن الحباب، الحسين بن الضحاك، مطيع بن إيّاس، حماد عجرد، وغيرهم، وقد كان أبو نواس يشعر بذلك في نفسه، بل كان يتخذ كل وسيلة إليه، حيث يقول واصفا هذه السمات في نفسه:

كم من حديث معجب لي عندكا لو قد نبذت به إليك لسرّكـا
إني أنا الرجل الحكيم بطبعـه ويزيد في علمي حكاية من حكا
أتتبع الظرفاء أكتب عندهـم كما أحدّث من أحب فيضحكـا[4]

كما كان يدعو إلى نظم هذا النوع من الشعر فيقول:

يا مادح القوم اللّئـام وطالبا رفد الشحـاح
أشغل قريضك بالنسيب وبالفكاهةوالمـلاح[5]

وقد كانت سمة الظرف والفكاهة فيه سببا من الأسباب التي جعلته مقربا من أهل عصره ودعت الخلفاء والوزراء في زمنه يرسلون في طلبه، ويستدعونه إلى مجالسهم، فيفاكههم ويسوق لهم النوادر والملح، ويبرز ذلك شوقي ضيف قائلا:« ولعل هذا ما جعله يتحول في بعض القصص إلى شخصية مضحكة، وهي وظيفة كان يقوم بها أبو دلامة معاصره.»[1]

لكن لا شك أن الناس في بغداد كانوا يتناقلون عنه نوادر كثيرة أعدت لنمو شخصيته المضحكة مع الزمن، فقد كانت لديه بديهة حاضرة تصقل ما يقوله من طرائف، ونستطيعأن نضع في هذا الجانب من التعابث والهزل أطرافا مما في شعره من شعوبية وزندقة، وفسق ومجون وغزل وخمريات وهجاء وغيرها، فكان بذلك عابثا، ماجنا على فكاهة فيه.

ويمكن أن نذكر من غزلياته التي كان ينحو فيها منحى التعابث والهزل قوله في هذه الأبيات الطريفة:

كتَبتْ على فصٍّ لخاتمهـا من ملّ محبوبًا فلا رقـدا
فكتبْتُ في فصّليُبْلِغَهـامن نام لم يعقل كمن سهدا
فمَحتْه و اكْتَتَبتْ ليُبلغنـي لا نام من يهوى و لا هجدا
فمحوْتُه و اكتَتبتُ: أنـا و الله أول ميت كمـدا
فمَحتْه و اكتتبتْ تعارضني و الله لا كلمته أبـدا [2]

فمحبوبته لا تعاني ما يعانيه من أرق و سهاد كي تعيه وتفهم ما يعانيه، وقد كتب هذه الأبيات الغزلية في قالب قصصي هزلي.

ومن غزله الظريف أيضا قوله:

سألتها قبلة ففزت بهـا بعد امتناع وشدة التعـب

---

[3]ينظر: عبد عون الروضان، المرجع السابق، ص51.
[4]شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص223.
[5] ايليا الحاوي، شرح ديوان أبي نواس، الجزء1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1987، ص278.
[1]بهاء حسب الله، ظواهر أدبية في الشعرالعربي القديم والمعاصر، الطبعة1، دار الوفاء، 2006، ص45.
[2]ايليا الحاوي، المرجع السابق، ص 323.

فقلت بالله يا معذبتـــي جودي بأخرى أقضي بها أربي
فابتسمت ثم أرسلت مثـلا يعرفه العجم ليس بالكـــذب
لا تعطين الصّبيّ واحـــدة يطلب أخرى بأعنف الطّلـب[3]

ومن نوادره وملحه في هذا الباب: أنه حينما وقف مرة مع جماعة من إخوانه على باب أستاذه عبد الواحد بن زياد المحدث، قال لهم عبد الواحد: ليسأل كل منكم حاجته، فقال أبو نواس:

ولقد كنّا روينـــا عن سعيد بن قتـــادة
عن سعيد بن المسيّب أن سعد بن عبـــادة
قال من مات محبـّا فله أجر الشهـــادة

فقال له عبد الواحد: أغرب يا خبيث والله لن أحدثك بشيء.[1]
وهذا يؤكد ما قلناه سابقا أنه كان على قدر كبير من المجون والزندقة على فكاهة فيه.
كما يمكننا أن نلاحظ في هجائه طابع السخرية والتهكم والهزل، فقد كان هجاؤه إما اندفاعيا،أو انتقاميا، وإما مزحيا يداعب به أصدقائه،حيث يقول في أحد مهجويه:

بم أهجوك ؟ لا أدري! لساني فيك لا يجري
إذا فكّرت في عرضك أشفقت على شعري[2]

فهذا الهجاء فيه نوع من الإستهزاء والسّخرية،فهو لا يريد أن يذلّ شعره ويشوّهه بتعرّضه لمثل هذا الرجل.
ويقول في آخر:

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمتإن الكلاب طويلة الأعمار

وفي هجائه لداود بن رزين راوية بشّار يقول:

إذا أنشـــد داود فقل أحسن بشّـــار
له من شعره الغـثّإذا ما شاء أشعـــار
وما منها له شـــيءألا هذا هو العـــار.[3]

فأبو نواس في هذه الأبيات يتّهم داود بن رزين ويسخر منه لأنه يسرق أشعارالشعراء وينسبها لنفسه،إلاّ أنه في حقيقة الأمر لا يفيد منها إلاّ عار السرقة لأن شعره غثّ رديء.
كما يقول أيضا في أحد أصدقائه وقد استثقله:

لي صاحب أثقل من أحـد قرينه ما عاش في جهد
علامة البغض على وجهه بيّنة مذ حل في المهـد
لو دخل النّار طفّى حرّها فمات من فيها منالبرد[4]

فهنا يظهر الطابع الفكاهي بشكل واضح، فصاحبه هذا ثقيل الظل كجبل أحد مثلما شبّهه، ومن يعايشه يظل طوال عمره مجهدا منكدا، فالحقد يطفو على وجهه منذ طفولته، فلو دخل جهنّم لأطفأها ومات من فيها من شدة البرد الذي يبثه فيهم.
ويقول في آخر وقد رماه بسرقه أشعاره:

أَعْدِن يا محمد بن زهيـر يا عذاب اللّصوص والشّطار
يسرق السارقون ليلا، وهذا يسرق النّاس جهرة بالنّهـار

---

[3]سراج الدين محمد، المرجع السابق، ص57.
[1] زين كامل الخويسكي، المرجع السابق، ص197.
[2]ايليا الحاوي، المرجع السابق، ص551.
[3]سراج الدين محمد، المرجع السابق، ص56.
[4]ايليا الحاوي، المرجع نفسه، ص359.

صار شعري قطيعة لخيـار لم؟ لماذا؟ لقلة الأشعــار.[1]

فهذا الرجل يسرق في النّهار غير متحرّج ولا متستر مثلما يفعل اللّصوص، كما أنّه يسرق شعر أبي نوّاس كما تُسرق قطعة الخيار، وذلك لقلة الشعر لديه.

وقد تميز أبو نواس في هذا الباب بهجائه الكاريكاتوري الساخر الذي يستهدف النيل من المهجو وذلك باستغلال نقائصه وعيوبه الجسدية أو المعنوية وعرضها في صور هزلية تثير سخرية الناس منه، وتدور الكثير من سخرياته حول صفة البخل، فيعرضها في صور متجددة تثير الضحك،فهاهو يصوّر بخل صديقه الفضل فيقول:

رأيت الفضل مكتئبــا يناغي الخبز والسمــك.

فقطّب حين أبصرنــي ونكّس رأسه وبكـــى

فلمّا أن حلفت لـــه بأني صائم ضحكــا.[2]

فقد اختار في هذه الصورة موقفا منفردا من سلوك مهجوّه، وأخذ يحلّل فيه انفعالاته الخاصةفالفضل يقلب السمك والخبز كأنّه يلاعب أطفاله فرحا بهم، فلم يلبث أن رأى أبا نواسحتى أصابه الغمّ فعبس وكأنها كارثة حلّت به لظنّه أنّه سيشاركه الطّعام، لكن أبا نواس حتى يهوّن على صاحبه الأمر ويخفّف عليه حلف له بأنه صائم، فانفرجت بذلك أساريره وابتهج. فهذه لفتة من الكلمات السريعة الخاطفة المعبرة في صورة كاريكاتورية ساخرة.

ويقول في بخل سعيد:

رغيف سعيد عنده عدل نفسه يقلّبه طورًا وطورًا يلاعبـه

ويخرجه من كمّه، فيشمّــهويجلسه في حجره ويخاطبه

وإن جاءه المسكين يطلبــهفقد ثكلته أمّه وأقاربــه.[3]

فصورة هذا الرجل وهو يلاعب خبزه فيقلبه تارة، ويخبّئه في كمّه، ويشمّه تارة أخرى، ويضعه في حضنه ويناجيه وكأنّه طفل، هي صورة كاريكاتورية مضحكة.

ويصور حرص البخيل على خبزه وخوفه من فقدانه فيقول:

فتى لرغيفه قرط وشنــف وخلخالان من خرز وشــذر[1]

إذا فقد الرّغيف بكى عليــه بكا الخنساء إذا فجعتبصخر

ودون رغيفه قلع الثنايــا وحرب مثل وقعة بـــدر[2]

فهذا البخيل يزيّن رغيفه حرصا عليه، كما تزيّن المرأة الحسناء، ويشبهه أبو نواس في بكائه على فقدان رغيفه ببكاء الخنساء لأخيها صخر حين قتل، ومن حاول أن يدرك رغيف هذا البخيل فإنه يخوض حربا كحرب بدر التي قامت بين المسلمين وجماعة قريش أيام النبي، كما يقرنها أبو نواس أيضا بقلع الثنايا وهي الأسنان من الألم الذي يصيبه.

ويحاكي أبو نواس ثقافة عصره، فيصوّر الخنافس يضربن على أوتار العيدان فيحدثن الملل الذي يجعل الزمن أطول ممّا هو في حقيقته فيقول:

إذا ما كنت عند قيان موسى فعند الله فاحتسب السرورا

خنافس خلف عيدان قعـود يطوّل قربها اليوم القصيرا

إذا غنّين صوتا كان موتـا وهجن عليك الزمهريـرا

ففي البيت الأول تصوير كاريكاتوري حسي، وفي البيتين الثاني والثالث تصوير كاريكاتوري معنوي، وقد جمع أبو نواس بين هذه الصورة الحسية والمعنوية كي يعبر من خلالها عن مدى ثقل

---

(1) ايليا الحاوي، المرجع السابق، ص536.

(2) جعفر خريباني، المرجع السابق، ص61.

(3)ايليا الحاوي، المرجع السابق، ص158.

(1)الشنف:القرط، الخرز: ضرب من حجارة الزينة، الشذر: الذهب.

(2)ايليا الحاوي، المرجع السابق، ص538.

تلك المغنيات والقيان، فلا يخفى أنه كان وثيق الصلة بهم بحكم غشيانه لمجالس اللهو وبحكم انتهاجه لمسالك الظرفاء الذين لا يطيقون ثقيلا في مجالسهم.[3]

كما استعمل في هجائه ما يسمّى بتصحيف الكلمات، فهجا أبان اللاحقي فقال:

صحّفت أمـــك إذ سمّتك في المهد أبانـــا
صيّرت "باء"مكـان "التاء" تصحيفا عيانـا
قد علمنا مـــا أرادت لم ترد إلاّ "أتانـــا"

وقال أيضا في أشجع السلمي الذي ينسب نفسه إلى السلامة والسلم:

قل لمن يدّعي سليمـــا لست منها ولا قلامة ظفـــر
إنّما أنت من سليم كـــواوٍ أُلحقت في الهجاء ظلما بعمـرٍو

وقد أمعن في الهجاء حتى تعرض للنظام المعتزلي فهجا ابراهيم النظام أحد أئمة المعتزلة قال فيه هذه الأبيات التهكمية:

قولا لابراهيم قولا هتـــرًاغلبتني زندقة وكفـــــرًا
إن قلت: ما تترك؟ قال: بـرًّا أو قلت: ما ترهب؟ قال بحـرًا
أو قلت: ما تقول؟ قال: شـرًّا أصلاه ربي لهبًا وجمـــرًا.[1]

ومما يدخل في إطار نزعته الشعوبية قوله في قريش ساخرا منها:

أحبب قريشا لحب أحمدهـــا واعرف لها الجزل من مواهبها
إن فاخرتنا فلا افتخار لهـــا إلاّ التجارات من مكاسبهـــا
وإنّها إن ذكرت مكرمـــة جاءت تجاراتها بغالبهـــا.[2]

فليس لقريش في زعمه مفخرة أو مكرمة إلاّ التجارة، وهو بهذا يستهدف النيل من العرب ويحاول السخرية منهم والحط من شأنهم.

ويسخر من الشعراء العرب الذين اعتادوا أن يستهلوا قصائدهم بالوقوف على الأطلال والبكاء عليها فيقول:

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضرّ لو كان جلـس.[3]

ومن أطرف الأساليب التي اصطنعها أبو نواس في سخرياته ما كتبه من قدح في ثوب المدح فينتهي بالقارئ إلى غير ما تنبىء به البداية وهنا تكون المفارقة التي تثير الضحك ونعرض من ذلك قوله في "بنان":

وجه بنان كأنّه قمـــــر يلوح في ليلة الثلاثيـــن
والخدّ من حسنه وبهجتـــه كطاقة الشوك في الريّاحين
والفم من ضيقه إذا ابتسمت كأنّه قصعة المساكيـــن[4]

وقد كان أبو نواس يستمد الفكاهة من البيئة التي يعيش فيها ومن مجتمعه، لذلك تظهر سخريته ذات أبعاد اجتماعية وجذور حضارية، كانت سبيله لخلق عالمه الجديد من جهة والتساؤل عن البديل من جهة أخرى.

ومن نوادره وهو بمصر لمدح الخصيب صاحب ديوان خراجها أن هذا الأخير قال له مرة وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب، فقام أبو نواس من فوره وقال مرتجلا:

مُنِحتم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيـب
رماكم أمير المؤمنين بحيـة أكول لحيّات البلاد شـروب

---

[3] فوزي عيسى،المرجع السابق، ص169.
[1] ايليا الحاوي، المرجع السابق، ص537.
[2] جعفر خرياني، المرجع السابق، ص63.
[3] المرجع نفسه، ص 100.
[4] فوزي عيسى، المرجع السابق، ص168.

فإن يك باقي إثم فرعون فيكم فإن عصا موسى بكفّ خصيب

ثم التفت إلى الخصيب قائلا: والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت؟ فاعتذر إليه وحلف ما كنت إلا مازحا.[1]

فأبو نواس في هذه الأبيات يطلب من أهل مصر أن ينتصحوا بنصيحته، فإن كان إثم وإفك فرعون لا يزال فيهم فإن الخصيب يحمل عصا موسى العجيبة يؤدبهم بها.

ومن نوادره أيضا: أنه بلغه أن محمدا الأمين قد سخط عليه فتهدده بالقتل وحبسه، فكتب أبو نواس إليه من السجن:

بك أستجير من الردى متعوّذا من سطو باسك

وحياة رأسك لا أعـو د لمثلها وحياة راسك

من ذا يكون أبا نـوا سك إن قتلت أبا نواسك[2]

فهو يستعطف الأمين بهذه الأبيات الفكاهية كي يعفو عنه ويطلق سراحه.

وهكذا حمل شعر أبي نواس سمات شخصيته، وملامح عصره ومجتمعه، وربما كان شعره من أصدق شعر العباسيين تعبيرا عن صاحبه وحياته وبيئته ومعاصريه.

كما عمل جاهدا للتحرر وكسر الطوق وكشح الظلام الذي يحجب ضوء الحرية فإذا به وسط دوامة من التناقضات كلها دفعته إلى السخرية والتهكم والعبث والهزل، فصوّر بذلك الجانب الضاحك من جوانب تلك الحضارة التي بناها العربي يوما حين انفتح على العالم وعرف حقيقة نفسه و قيمة تراثه.

-المبحث الثالث: ابـن الرّومـي

***نبذة عن حياته**:

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج أو جورجيوس، المعروف بابن الرومي، رومي من ناحية أبيه، فارسي من ناحية أمه، وقد قال منوّها بنسبه:

كيف أغضي على الدنيّة والفر س خؤولي والرومهم أعمامي[1]

ولد ابن الرومي يوم الأربعاء في 21 حزيران سنة 221هـ الموافق ل 836م ببغداد، نشأ بها وحصّل فيها ثقافة واسعة بفضل أبيه العباسي الذي كان مسلما متعلما ربّاه ووجّهه الوجهة العلمية التي يريد، وقد كان في طفولته هزيل الجسم، دميم الخلقة، قليل شعر الرأس مما جعله لا يفارق عمامته، وله مقطوعة يصوّر فيها صلعه وقبح وجهه يقول:

شغفت بالخرّد الحسان ومـا يصلح وجهي إلاّ لـذي ورع

كي يعبد الله في الفـلاة ولا يشهـد فيها مساجد الجمـع[2]

وقد كانت حياته سلسلة متواصلة من الأحداث والنكبات، حيث مات أبوه وهو طفل فكفلته أمه وأخ أكبر منه، تزوّج فرزق ثلاثة أبناء ماتوا جميعا في طفولتهم ثم لحقت بهم زوجته، كما فقد أخوه شابا، وكانت خاتمة المصاب وفاة أمه التي كان يركن إليها، فتزعزع بذلك كيانه واعتلّت أعصابه فتشائم وتطيّر.

---

[1].زين كامل الخويسكي، المرجع السابق، ص198.

[2]المرجع نفسه، ص198.

[1]ابن الرومي، الديوان، شرح أحمد حسن سبج، الجزء1، الطبعة3،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2002،ص07.

[2]شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص297.

قضى حياته فقيرا، ولم ينل حظوة لدى الخلفاء والعظماء لمزاجه الغريب، فكان ديدنه التشكي والتألم، وسخر به النّاس فأبغضهم وجرّد لسانه اللاّذع لهجوهم.[3]
بدأ ابن الرومي يقرض الشعر في فترة مبكرة من حياته، فكان أشعر أهل زمانه بعد البحتري وأكثرهم شعرا وأبلغهم هجاء، وقد كان للأحداث والنكبات التي عاشها أثر واضح في شعره لأنه كان مرهف الإحساس والشعور إلى حدّ بعيد، فمثّل بذلك شعره صورة لنفسيته.
برع أشد ما يكون في الوصف الكاريكاتوري، وفي المديح والهجاء، ويقال إنه ما برع في مدح أحد إلاّ وبرع في هجائه، حيث يقول في هجاء الوزير والشاعر ابراهيم بن المدبر بعد أن مدحه فردّمدحه:

رددت عليّ مدحي بعد مطل وقد دنّست ملبسه الجديدا
وقلت امدح به من شئت غيري ومن ذا يقبل المدح الرّديدا
ولا سيما وقد أعمقت فيه مخازيك اللّواتي لن تبيدا
وما للحيّ في أكفان موت لبوس بعدما امتلأت صديدا[1]

لذا كان الكبار من علّية القوم يهابونه ويخشون أن يطالهم بلسانه، وقد كان الشعر سبب وفاته كما تذكر بعض الروايات، وذلك لهجائه ابن فراس الذي احتال عليه بشيء أطعمه إيّاه بأمر من القاسم بن عبيد الله وزير الخليفة العباسي المعتضد، فمات ابن الرومي مسموما وذلك نهار الأربعاء في 14 حزيران من سنة 283هـ الموافق ل 896م ببغداد ودفن بها.[2]
وهناك قصة أخرى تقول أنّه مات ميتة طبيعية نتيجة لأمراضه وعلله التي قضت عليهمن أهم آثاره: رسائل في النّثر، وديوان شعري في شتى الأغراض.

-الهجاء السّاخر عند ابن الرومي:
لعل من أهم الجوانب التي تلفت الانتباه في شعر ابن الرومي جانب الهجاء الذي حاز فيه المرتبة العليا وتفوق به على أقرانه، وهجاؤه نوعان: مقذع فاحش فيه سبّ وهتك للأعراضوآخر ينحو فيه منحى السّخرية والإضحاك، وهو اللّون الأهم في هجائه، فقد أعدّه مزاجه الحاد وقدرته البارعة في لمح الدقائق والعيوب الجسدية إلى هذا الضرب من الهجاء الذي يمكن أن نسميه بالهجاء الساخر حيث كانت قصائده في السخرية تقوم على التصوير الهزلي، إذ كان يعبث بمهجويه عبثا لاذعا يشبه عبث أصحاب الصور الكاريكاتورية.[3]
فهم يستغلون العيوب الخلقية ويبرزونها بالطول أو بالعرض أو بالتضخيم أو بالتصغير إبرازًا مضحكًا في كلّ صوره، وكذلك كان ابن الرومي صاحب فلسفة في هذا الفنّ يعرف كيف يصوّر العيوب الجسدية والمعنوية تصويرا مضحكا، فيقف عند نواحي الضعف فيكبّرها ويظهرها في أوسع صورة لها، أو أنّه يمسخ الصورة فيصغّرها حتى ليثير الضحك والإشفاق والتقزّز أحيانا على من يتناوله من مهجويه بحيث يشوهه تشويها غريبا كما في هجائه وتصويره لصاحب اللحية.[4]

فقد كانت تؤذيه اللّحى إيذاءً شديدًا حين تخرج عن مقدارها الطبيعي فيهجوها ويهجو أصحابها هجاءا ساخرا مضحكا حيث يقول في هذه المقطوعة الهزلية:

إن تطل لحية عليك وتعرض فالمخالي معروفة للحمير
علّق الله في عِذَارَيك مخلاةً ولكنّها بغير شعير

---

[3]أمين أبو الليل، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص174.
[1]ابن الرومي، المصدر السابق، الجزء1، ص385.
[2]عبد عون الروضان، المرجع السابق، ص21.
[3]شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشر العربي، ص 213، 212.
[4]ينظر: ابن الرومي، المصدر السابق، الجزء1، ص11.

أرْعَ منها المُوسَى فإنّك منهـا يشهد الله في آثام كبيـر
لحيةٌ أُهملت فطالت وفاضـت فإليها تشير كفّ المشيـر
فاتّق الله ذا الجلال وغَيِّـرمنكرا فيك ممكن التغييـر
أو فقصّر منها فحسبك منهـا نصف شبر علامة التذكير
لو رأى مثلها النبيّ لأجرى في لحى النّاس سنّة التقصير
واستحبّ الإحفاء فيهن والحل ق مكان الإعفاء والتوفيـر.[1]

فقداستهل ابن الرومي هذه المقطوعة بتشبيه تلك اللّحية بمخلاة حمار ولكن بدون شعير، ونصح صاحبها أن يجعل الموسى يرعاها ويأخذها من جميع أطرافها وجعل محافظته عليها إثما كبيرا وقد طالت حتى غدت فرجة للرائحين والغادين يشيرون إليها بأكفهم وأصابعهم متعجبين، ثم يدعوه أن يتقي الله ويغيّر هذا المنكر الذي يحمله على وجهه في ذهابه وإيابه أو ليقصرهافنصف شبرمنها كاف على التذكيروالرجولة ويقول إن الرسول عليه الصلاة والسلام لورأها لأبدل السنة فلم يجعلها تطويل اللّحى بل جعلها تقصيرها، بل لعله يجعل السنة قصها ومحوها محوا،وهو يشير في البيت الأخير إلى الحديث النبوي«احفوا الشوارب واعفوا اللحى»

ويقول في أخرى:

إذا عرضت لحية للفتـى وطالت وصارت إلى سرّتـه
فنقصان عقل الفتى عندنـا بمقدار ما زاد فـي لحيتــه[2]

كما يقول في أحدب كان يضايقه و يترصد له أمام داره ليتطيّر منه:

قصرت أخادعه و طال قذاله فكأنه متربص أن يصفعـا
وكأنما صفعت قفاه مـرة فأحسّ ثانيـة لها فتجمّعـا[3]

فابن الرومي في هذه المقطوعة وصف الشكل والحركة وضمّنها هيئة السخر الّتيعملفيها عمله المركب ليتمّ فيها نصيب العين والضحك والخيال, فصورة الرّجل وهو يتهيّأ لأن يُصفع ثم يحاول أن يتّقي الصفعة الثانيةبتجميع قفاه هي صورة الأحدب.

وممّا يلفت النظر أن ابن الرومي لا يكتفي بصورة واحدة لمهجوه, بل يحاول أن يحقّره و يُنقص من قدره اجتماعيا وخلقيا, ويُجرّد سلاح ثقافته وعلمه ليتفنن في ايذاء المهجو مثلما فعل في عمرو النصراني الذي كان يمنعه من الدخول على الوزير حيث يقول فيه:

وجهك يا عمرو فيه طـول وفي وجوه الكلاب طـول
مقابح الكلب فيك طـرّا يزولعنها ولا تــزول
وفيـه أشيـاء صالــحات حماكها الله و الرّســول
فالكلب وافٍ وفيك غـدرٌ ففيك عن قدره سفـول
وقد يحامي عن المواشــي وما تحامي ولا تصــول
وأنت من بيت أهل ســوءٍ قصتهم قصـة تطــول
وجوههم للورى عظــات لكن أقفاءهــم طبــول
مستفعلن فاعلـن فعــول مستفعلن فاعلـن فعــول
بيت كمعناك ليس فيــه معنى سوى أنـه فضــول[1]

فأمامنا لوحة فنية بدأ الشاعر بعرضها عرضا منطقيا، فعمرو هذا يشبه الكلب في وجهه وبالتالي في مساوئه جميعا دون محاسنه، فابن الرومي يجرّده من كل معنى إنساني ولا يرى فيه سوى مسلسل عيوب في الشكل كما في النفس أو الجوهر، فهو يعمد إلى المقارنة بين هذا الحاجب عمرو وبين الكلب، ليفضل هذا الأخير عليه في أكثر من حال، ويتعدى الشاعر في هجائه عمراً إلى أهله فينال منهم بسخريته المقذعة الحادة، ويتابع مسيرته الهجائية ليشبه عمراً بالبسيط أحد أوزان الشعر

---

[1] ابن الرومي، المصدر السابق، الجزء2، ص23،24.
[2] المصدر نفسه، الجزء1، ص270.
[3] عبّاس محمود العقّاد،تراجم و سير، المجلّد1، الطّبعة2، دارالكتاب المصري،1991، ص107.
[1] خليل شرف الدين، ابن الرومي، دار ومكتبة الهلال، ص149.

العربي الخالي من أيّ معنى سوى الفضول، وبالتالي فوجود عمرو وعدم وجوده سيّان كتفعيلة وزن البيت: مستفعلن فاعلن فعولن.[2]

ويقول في صاحب الأنف الطويل:

لك أنف يا ابن حرب أنفت منه الأنوف
أنت في القدس تصلي وهو في البيت يطوف

ويقول في امرأة قبيحة:

دحداحة الخلقة حدباؤها قامتها قامة فقاعة
لو أنّها ملكي ولي ضيعة جعلتهاللطّير فزاعة[3]

فابن الرومي في هذه الأبيات يسخر من خلقة هذه المرأة القصيرة القامة ويقول أنه لو كان يملك ضيعة أو مزرعة لجعلها كالفزّاعة حتى يرهب بها الطيوركي لا تقترب من مزرعته.

هكذا كان يعبث بمهجويه عبثا كله سخرية وفكاهة وتنديد، ولم ينج منه حتى الشعراء فكان لهم نصيبهم من الهجاء والسخرية حيث يقول في أحد الشعراء:

وشاعرٍ أوقد الطبعُ الذّكاء به فكاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يُجهد أياما قريحته وفسّر الماء بعد الجهد بالماء[1]

ويقول في أبي حفص الوراق الشاعر:

أصبحت قردا يا أبا حفصل ولست أيضا من ملاح القرود
تلك قرود غير مسوخة وأنت قرد من مسوخ اليهود

ومن الطّريف أيضا أنّه كان يلاحظ أن الشعراء يفرّطون في مبالغاتهم فينسبون إلى الممدوحين ما لا يفعلون مسبّة لا تمّحي وعار ما بعده عار حيث يقول فيهم:

يقولون ما لا يفعلون مسبّة من الله مسبوب بها الشعراء
وما ذاك فيهم وحده بل زيادة يقولون ما لا يفعل الأمراء[2]

وقد استوحى هذا المعنى من الأيات الكريمة التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى:« والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون، وأنّهم يقولون ما لا يفعلون».[3]

فهؤلاء الشعراء يقولون ما لا يفعلون، وليس ذلك فحسب بل يقولون أيضا ما لا يفعل الأمراء كذبا وبهتانا، وكأن ابن الرومي قد أحس بقوّة ما كان يحمله المديح في عصره من كذب صراح.وعلى نحو ما كان يلتقط العيوب الجسدية كان يلتقط العيوب الصوتية والمعنوية حيث يقول في مغنّ:

إنّك لو تسمع ألحانه تلك اللواتي ليس يعدوها
لخِلت من داخل حلقومه موسوسا يخنق معتوها[4]

ويقول في جحظة وكان مغنيا جاحظ العينين:

تخاله أبدا من قبح منظره مجاذبا وترا أو بالعا حجرا
كأنّه ضفدع في لجّة هرم إذا شدا نغما أو كرّر النّظرا[5]

فقد جعل صورة المغني الذي تترائى عيناه الجاحظتان كعيني الضفدع الهرم في لجّة يكرّر النظر ويغني وفمه في الماء.

ويقول في أبي سليمان مغني ومعلّم الصبيان:

أبو سليمان لا ترضى طريقته لا في غناء ولا تعليم صبيان

---

[2]كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، الجزء1، الطبعة4، دار الكتب الحديثة، بيروت، لبنان 2002،ص152.
[3]سراج الدين محمد، المرجع السابق،ص28.
[1]ابن الرومي، المصدر السابق، ص76.
[2]المصدر نفسه، ص31.
[3]سورة الشعراء، الأية(226-223).
[4]عباس محمود العقاد،تراجم وسير، ص109.
[5]المرجع نفسه، ص107.

له إذا جاوب الطنبور محتفـلا صوت بمصروضربفي خراسان
عواء كلب على أوتار مندفـة في قبح قرد وفي استكبار هامـان
وتحسب العين فكّيه إذا اختلفـا عند التنغم فكي بغل طحـان[1]

فقد صوره في تحرك فكّيه في الغناء بالبغل حين يحرّك فكّيه لأكل طعامه.

وفي آخر:

ومغنّ ببـرده ونـداه تخمد النار حين يفتح فاه
يتغنى بغيررزءولا يس كت إلا بحكمه ورضـاه
يتمنّى السميع حين يغنّـي أنه قبل ذاك صمّ صداه[2]

فهذا المغني من شدة قبح صوته وغنائه فإنّ سامعيه يتمنّون أن يصموا قبل سماع صوته.

وفي مغنّية:

تضغط الصوت الذي تشدو به غصّة في حلقها معترضـة
فإذا غنّت بـدا في جيـدها كلّ عرق مثل بيت الأرضة[3]

فابن الرومي يهجو هذه المغنّية التي تتكلّف وتتصنّع الغناء، فتضغط صوتها حتى تبدو عروقها وهنا تحضر المناقضة التامة بين الوهم والصورة المشهودة ويبدو الفرق المضحك بين الجيد وبيت الأرضة.

ولا عجب في ذلك، فقد طالت قصائده كلّ من عرفه، ولم يستثن منها حتى نفسه حيث يقول في قبحه:

من كان يبكي الشباب من جزع فلست أبكي عليه من جـزع
لأن وجهي بقبـح صورتــه ما زال لي كالمشيب والصلع
أشب ما كنت قط أهـرم مـا كنت، فسبحان خالق البـدع
إذا أخذت المـرآة أسلفنــي وجهي وما متّ هول مطلعي[4]

وقد قال يخاطب قوما لاموه على الهجاء:

قيل لي: لِمَ ذممت كل البرايا وهجوت الأنام هجوا قبيحا؟
قلت: هَبْ أنّي كذبت عليهم فأروني من يستحق المديحا؟[1]

هكذا اجتمع لابن الرومي من عناصر السخرِ-ولاسيما تلك السخرية الناقدة الشامتة والتصويرية الكاريكاتورية التي عرف بها شاعرنا وخلدت له لوحات كبار-ما لم يجتمع لأحد في عصره اجتمعت له دقة الملاحظة والإحساس وعمق الشعور بالمناقضات في نفسه وفي زمنه، وسعة النظر إلى الفوارق التي ولدت فواجع وكوارث وانتفاضات كلها من النوع المضحك المبكي وسماحة العطف التي تقابل مرارة العصبية، فهو ساخر لا يبارى بسخره وعابث مطبوع على العبث بكل شيء حتى بصحبه ونفسه، فهو يستخدم السخر في الهجاء فيسخر من مهجويه سخرية لاذعة كلّها ناشئة عن دقّة في لمح العيوب الجسمانية وغير الجسمانية عند خصومه،وناشئة أيضا عنحسه ومزاجه وتشاؤمه وإعنات خصومه له في تطيّره فعبث بهم كماعبثوا بتطيّره وتشاؤمه.

وسخريته مبطّنة بالمرارة والعنف، إلا أنّها نماذج رفيعة للفن لما فيها من المقارنات الغريبة وتوارد الأفكار ودقة المراقبة وبعث الصور البعيدة الإيحاء.

الخاتمة

---

[1] عباس محمود العقاد، الأدب والنقد،ص543.
[2] ابن الرومي،المصدر السابق، ص72.
[3] عباس محمود العقاد، تراجم وسير، ص108.
[4] أمين أبو الليل، المرجع السابق، ص183.
[1] ابن الرومي، المصدر السابق،ص361.

نخلص في خاتمة بحثنا هذا إلى أن الفكاهة في العصر العباسي ما كان لها أن تتطور وتتجدد وتبرز على هذا الشكل لولا البيئة العباسية وما شاع فيها من مرح ولهو ومجون، ولولا عامل الرخاء وتشجيع الخلفاء والأمراء ووجهاء العصر وعامة القوم الذين كانوا في أمسّ الحاجة إلى من يسليهم ويضحكهم ويخفف عنهم متاعبهم وأعباءهم.

إلاّ أنه يمكننا القول أن المجتمع العباسي بتركيبته الجديدة وحضارته المعقدة المتنوعة قد خلق مفارقات مضحكة ومؤسفة في آن واحد، ما دفع ببعض الشعراء العباسيين إلى تصوير ذلك الجانب الضاحك الغني من جوانب تلك الحضارة، كلّ حسب طبيعته وميوله وظروف حياته.

وقد نبغ في هذا اللون من الشعر عدد من الشعراء ذاع صيتهم إلى يومنا هذا وتناقلت الأجيال والحضارات نوادرهم وفكاهاتهم وملحهم، وقد سلّطنا الضوء في فصولنا السابقة على أهمهم وأشهرهم كبشار بن برد الذي جعل من الهجاء وسيلة للسخرية والتهكم من مهجوبهواتخذ منها سلاحا للرد على منتقديه وأعدائه، وأبو نواس الذي جعل من ظرفه ودعابته وخفة روحه سببا في تقرب الخاصة والعامة منه، وكذا ابن الرومي الذي اتخذ من التصوير الكاريكاتوري مذهبا له فراح يصور مختلف عيوب الأفراد والمجتمع الحسية منها والمعنوية في قالب فكاهي هزلي، وهذا على غرار شعراء آخرين لم نركز عليهم كثيرا كأبي دلامة، ودعبل والمتنبي... وغيرهم باعتبارهم لم يبلغوا درجة الشهرة والنبوغ في هذا المجال.

وعلى ضوء ما قلناه يمكن أن نستنتج أن الفكاهة لم تكن تهدف إلى الإضحاك والتسلية والترويح عن النفس فحسب، بل تعدّت ذلك إلى كونها أصبحت تقوم بوظيفة النقد واصلاح بعض الأفكار والعادات التي سادت المجتمع العباسي كالبخل والجبن مثلا.

وهذا ما جعل من الفكاهة أو موهبة إضحاك الناس والسخرية منهم- خاصة إذا كانت هذه السخرية بطريقة فنية شفافة وغير جارحة- فناّ راقيا وموهبة حضارية خلاّقة وصعبة في الوقت نفسه، لم تؤتى إلاّ لكبار الفنانين والمصورين.

- **القرآن الكريم**.

- **المصادر:**

-1 بشار بن برد، الديوان، تقديم إحسان عبّاس، الطبعة1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000.

-2 ابن الرومي، الديوان، شرح أحمد حسن سبج، الجزء1، الجزء2 ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2002.

-3 ابن منظور، لسان العرب، الطبعة 4، دار صادر، بيروت،2005.

- **المراجع:**

-1 بيطام مصطفى، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،1995.

-2 التطاوي عبد الله، مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص، الطبعة1، الدار المصرية اللبنانية، 2006.

-3 الجّر خليل، المعجم العربي الحديث "لاروس"، مكتبة لاروس، باريس، 1973.

-4 الحاوي ايليا، شرح ديوان أبي نواس، الجزء1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1987.

-5 حسب الله بهاء، ظواهر أدبية في الشعر العربي القديم والمعاصر،الطبعة1، دارالوفـــاء 2006.

-6 حطيط كاظم، أعلام ورواد في الأدب العربي، الجزء1، الطبعة4، دارالكتب الحديثة، بيروت لبنان،2002.
-7 حنفي داوود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، الطبعة2،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،الجزائر،1993.
-8 خريباني جعفر، أبو نواس الحسن بن هانئ، الطبعة1، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان،1990.
-9 الخويسكي زين كامل، في الأدب العباسي والأندلسي، دراسات ونصوص، دار المعرفة الجامعية، 2006.
-10 الروضان عبد عون، شعراء العصر العباسي، الطبعة3، دار أسامة، عمان، الأردن.
-11 زغلول محمد سلام، الأدب في عصر العباسيين، منشأة المعارف، الإسكندرية.
-12 السد نور الدين، الشعرية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،1995.
-13 شامي يحي، موسوعة شعراء العرب، الجزء2، الطبعة1، دارالفكرالعربي، بيروت لبنان،1999.
-14 شرف الدين خليل، ابن الرومي، دار ومكتبة الهلال .
-15 شكري عبد الرحمان، دراسات في الشعر العربي، الطبعة1، الدار المصرية اللبنانية،1994.
-16 ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الطبعة12، دار المعارف.
-17 _____، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، الطبعة4، دار المعارف.
-18 _____، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة12، دار المعارف، القاهرة.
-19 عطوي علي نجيب، بشار بن برد، حياته وشعره، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1990.
-20 العقاد عباس محمود ، الأدب و النقد، الطبعة3، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2000.
-21 _____، تراجم وسير، المجلد 1، دار الكتاب المصري، 1990.
-22 عيسى فوزي، في الأدب العباسي، دار المعرفة الجامعية، 2008.
-23 الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، الطبعة1، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 1980.
-24 الكفراوي محمد عبد العزيز، تاريخ الشعر العربي، الجزء3، نهضة مصر.
-25 أبو الليل أمين، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الطبعة1، الوراق، عمان الأردن.
-26 _____، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، الطبعة1، الوراق، عمان الأردن.
-27 محمد سراج الدين، النوادر و الطرائف في الشعر العربي، دار الكتب الجامعية، بيروت لبنان.
-28 بن هادية علي، القاموس الجديد للطلاب، الطبعة7، المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر 1991.

الفهـــــرس

مقدمة.....أ- ب.
مدخل: مواكبة الشعر للحياة العباسية الجديدة.....03.
الفصل الأول: الفكاهة في الشعر العباسي.
المبحث الأول: مفهوم الفكاهة وعلاقتها بالتجديد في فن الهجاء في العصر العباسي.
*مفهوم الفكاهة.....10.
*الشعر الفكاهي وعلاقته بالتجديد فيفن الهجاء في العصر العباسي.....11.
المبحث الثاني: خصائص الشعر الفكاهي.
*الخفة والظرافة.....15.
*التهكم.....16.
*السخرية.....17.
*التصوير الكاريكاتوري.....18.
المبحث الثالث: أنواع الفكاهة وروادها في العصر العباسي.
*أنواع الفكاهة.....20.
- الخيالية.....20.
- اللفظية.....21.
*رواد الشعر الفكاهي في العصر العباسي.....22.
الفصل الثاني: نماذج من الفكاهة لأهم الرواد.
المبحث الأول: بشار بن برد
*نبذة عن حياته.....26.
*التهكم والسخرية عند بشار بن برد .....27.
المبحث الثاني: أبو نواس.
*نبذة عن حياته.....35.
*الظرف والفكاهة عند أبي نواس.....36.
المبحث الثالث: ابن الرومي.
*نبذة عن حياته.....43.
*الهجاء الساخر عند ابن الرومي.....44.

خاتمة.....